

كلية الآداب

مركز الدراسات الإنسانية والمستقبليات

مشروع

وثائق تاريخ العرب الحديث

يوميات مكارى عن :

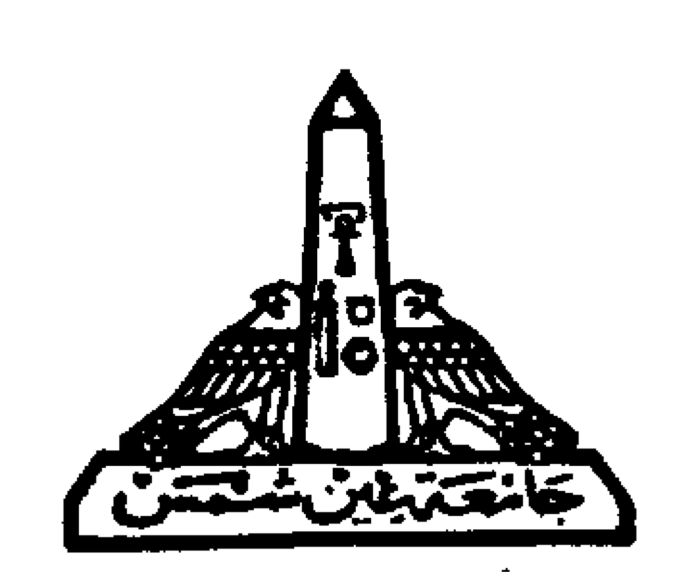
مسيرة الحملة الإنجليزية المنطلقة من الهند إلى

القصير - قنا - أسيوط - القاهرة - الإسكندرية

ترجمة ودراسة وتعليق

د. عبد العزيز سليمان نوار

راندا عبد العزيز نوار





كلية الآداب

مركز الدراسات الإنسانية والمستقبليات

مشروع
وثائق تاريخ العرب الحديث

يوميات مكاري عن:

مسيرة الحملة الإنجليزية المنطلقة من الهند إلى

القصير - قنا - أسيوط - القاهرة - الإسكندرية

ترجمة ودراسة وتعليق:
د. عبدالعزيز سليمان نوار
راندا عبدالعزيز نوار

مجموعة العمل فى بحث
الحملة الفرنسية

الباحثون :

أ. د. عبد العزيز سليمان نوار	المشرف على المشروع أستاذ متفرغ، كلية الآداب، جامعة عين شمس
أ. د. عبد الله عزباوى	رئيس لجنة المراجعة النهائية أستاذ بكلية التربية، الفيوم
د. ماجده مخلوف	باحث ومراجع أستاذ مساعد، كلية الآداب، جامعة عين شمس
د. مهجت جوده	باحث دكتوراه فى التاريخ الحديث من كلية الآداب، جامعة عين شمس
د. عبد القوى فهمى	باحث مدرس بكلية الآداب، جامعة المنوفية
د. محمد خليل	باحث أستاذ بكلية التربية، الفيوم
عبد الرازق عبد الرازق عيسى	مساعد باحث مسجل لدرجة الدكتوراه فى التاريخ الحديث بكلية الآداب، جامعة عين شمس
رمضان الخولى	مساعد باحث مسجل لدرجة الماجستير فى التاريخ بكلية الآداب، جامعة عين شمس
حسن مرسى	باحث

الإشراف الإدارى للمركز :

أ. د. أحمد عبد الرازق أحمد	وكيل الكلية للدراسات العليا ومدير المركز
السيدة/ رجاء الوكيل	سكرتير المركز

بيان نشاط مركز الدراسات الإنسانية والمستقبليات

- تاريخ إنشاء المركز: ١٩٩٥ م.

- المدير الحالى: الأستاذ الدكتور / أحمد عبد الرازق أحمد

أستاذ الآثار الإسلامية. ووكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

- أنشطة المركز: من ١٩٩٨ حتى ٢٠٠١ :

● فى إطار الاتفاقية الثقافية بين جامعتى عين شمس والحسن الثانى المحمدية بالمغرب والمتمثلة فى كلية آداب عين شمس وكلية آداب المحمدية.

● قام المركز بعقد ندوة بعنوان (التجربة الصوفية بين الفن والفلسفة) وقد شاركت جامعة الحسن الثانى بوفد من ثلاثة أساتذة فى مجال التخصص على رأسهم وكيل الكلية للدراسات العليا بالمحمدية وساهموا بتقديم ثلاثة أبحاث قيمة وإدارة ورئاسة بعض جلسات الندوة.

● إصدار مجلد أبحاث الندوة متضمناً مجموعة منتقاه من الأبحاث المقدمة.

● إصدار مجموعة وثائق تاريخ العرب الحديث فى ثلاث مجلدات يشتمل كل منها على مجموعة من الوثائق التاريخية وبعض الترجمات لها.

المحتــوى	رقم الصفحة

المقدمة :

من الموضوعات التى عنيت بها مجموعة البحث لوثائق الحملة الفرنسية يوميات مكارى أحد الضباط الإنجليز الذين شاركوا فى الحملة الإنجليزية التى انطلقت بحرا من الهند الى القصير ومنها برا إلى قنا فأسيوط إلى القاهرة ـ التى كانت قد استسلم الفرنسيون فيها الى الجيش العثمانى الإنجليزى ـ إلى الإسكندرية ليتولى الجنرال بيرد - قائد الحملة الإنجليزية من الهند - مواقع جيشه الجديدة مكان المواقع التى اخلاها الفرنسيون تأهبا لمغادرة البلاد نهائيا حسب الاتفاقيات التى عقدت بين الفرنسيين من جهة والعثمانيين والانجليز من جهة أخرى.

والترجمة لهذه اليوميات التى مر عليها قرنان تقريبا ليست فقط صعبة، ولكن تكمن الصعوبة فى التعرف على بعض الأماكن التى وردت فى هذه الرحلة خاصة فيما بين القصير وقنا.

هذه الرحلة (اليوميات) واحدة من عشرات المئات من الرحلات (اليوميات) التى كتبت عن مصر.

وهى جزء من فكرة عامة دعينا إليها منذ وقت طويل على اعتبار ان كاتب الرحلة أكثر صدقا ودقة من السياسى أو المفكر أو صاحب المشروع الاقتصادى فى وصف ما يراه. والأهم من ذلك أنه قد يركز على موضوعات لا يتنبه إليها غيره. الأمر الذى يجعل مثل هذه اليوميات مادة خام يفيد منها الباحثون فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولأن كاتب هذه اليوميات ضابط فى الجيش الإنجليزى فانه فى يومياته هذه عنى عناية كبيرة بالتحركات العسكرية إلى جانب مشاهداته على طول المسافة التى قطعها عبر الصحراء الشرقية من القصير إلى قنا وعلى طول نهر النيل من قنا إلى القاهرة، وعبر الدلتا إلى الاسكندرية.

ويرجع الفضل الى الأكاديميين الإنجليز والمصريين فى ظهور هذه اليوميات إلى السطح ونعنى بذلك كل من :

١ - جيمس جونسون أوشماتى الأستاذ الدكتور بمدرسة الأنسانيات والعلوم الاجتماعية فى جامعة «غرب ويلز الجديدة للتكنولوجيا» فى سيدنى باستراليا. من حيث العثور على هذه اليوميات.

٢ - الأستاذ محمد شفيق غربال الذى أعطى الفرصة لمثل هذه اليوميات لأن تكون فى متناول الباحثين بلغتها الإنجليزية على أمل أن تلقى العناية العلمية المناسبة.

ولكنها ظلت حتى وقتنا هذا غير معنى بها العناية اللازمة حتى توفرنا على ترجمتها ودراستها والتعليق عليها.

د. عبدالعزيز نوار

راندا عبدالعزيز نوار

طغت أحداث الحملة الفرنسية فى الدلتا على أحداثها فى الصعيد، وطغت أحداث الوادى أيامهـا على حملة بيرد من الهند إلى القصـير إلى قنا إلى القاهرة والإسكندرية ثم العودة إلى الهند. ولذلك لا نجد عن هذه الحملة إلا النزر اليسير من المادة التاريخية فى المصادر التى عاصرت الحملة الفرنسية على مصر والشام.

نشر جيمس اشيـموتى يوميات «مكارى» تحت عنوان:-Lachlan Macquarie's Journal عن مسيرته مع جيش الجنرال بيرد من القصير إلى قنا إلى أسيوط فالقاهرة حتى الإسكندرية . وكان قد أبحـر من بمباى على ظهر السفينة وليام فى ٦ إبريل ١٨٠١ متوليا قيادة فـرقة المشاة ٧٧ برتبة نائب ادجوانت جنرال، ثم رقى خلال وجوده فى مصر ضمن جيش الجنرال بيرد إلى رتبة جنرال.

ونزلت فرقة مكارى إلى القصير، ومنذ ذلك التاريخ كان يسجل ما يشاهده خلال مـسيرته من القـصير إلى قنا إلى أسـيوط فالقاهـرة إلى الإسكندرية. وبعد أنتـهاء مهـمة جـيش الجنرال بيـرد انحسب من مـصر عـائدا الى الهند. وظل فى خدمة الجيش الإنجليزى حتى أحيل إلى التقاعد فى ١٨١١.

ومن المعروف أن الأجـانب الذين يسجلون يوميـاتهم خلال رحلة لهم فى الشرق الإسـلامى ، والعسكريين منهم الذين يدونون كل صغـيرة وكبيـرة خلال مسـيرتهم العـسكرية من موقع لآخـر فى أى بلد من أمثـال مكارى يعنون عناية بالغة بما يـقع من أحداث أو هجمـات تقع عليه أو على حـاشيتـه أو على جنوده الذين يقودهم.

وكان خلال مشـاركته فى حملة بيرد مـتحمسا ليس فقط لدحـر الفرنسيين وطردهم من مصر، ولكن أيضا للحصول على معلومات عن أخيه الذى كان من كبار ضـباط الجنرال هتشنسون القـائد العام للجيش الإنجليزى العـامل فى شمال مصر من أجل طرد الفرنسيين منها.

واليوميات ذات أهمية قصوى للتـأريخ، فهى غالبا ما تكتب يوما بيوم، أى

أن التسجيلات تكون أكثر صدقا مما لو كتبت بعد ذلك، وهنا يمكن القول أن اليوميات تعتبر من أهم المصادر التاريخية. وقد أتحفنا الرحالة والعسكريون الإنجليز بصفة خاصة والأوروبيون بصفة عامة بعدد كبير جدا من يومياتهم المنشورة وغير المنشورة قدمت للباحثين مادة تاريخية أولية لكتابة التاريخ.

تناول مكارى بنوع من التفصيل التحركات العسكرية، وحركة القوات الإنجليزية بين الهند ورأس الرجاء الصالح إلى القصير وإلى السويس بنوع من الاقتضاب لأنه كان يسجل مشاهدته أكثر بكثير جدا من أن يكون (مؤرخا عسكريا) للحملة.

ويوميات مكارى يمكن أن توصف بأنها يوميات رحالة، ويمكن كذلك أن توصف بأنها يوميات ضابط عسكرى ولكن غلبت على مكارى حاسة التسجيل وكأنه فى رحلة أكثر من حاسة العكسرى رغم أن ما كان يكتبه عن الحركات العسكرية التى شارك فيها أو سمع عنها استغرق قسما كبيرا من اليوميات.

والقيمة الرئيسية لهذه اليوميات أنها تقدم مادة فى:

١ - التاريخ العكسرى.

٢ - تاريخ الحملة الإنجليزية بقيادة الجنرال بيرد من الهند إلى القصير إلى قنا إلى أسيوط فالقاهرة إلى الإسكندرية ثم العودة إلى الهند.

٣ - أنها تقدم وصفا لمنطقة معزولة لم يعتن الباحثون بها إلا بدرجات محدودة.

وكان الجنرال بيرد (١٧٥٧ - ١٨٢٩) الذى تولى قيادة هذه الحملة من القيادات المتميزة فى الهند وكان على مقدرة كبيرة فى تجميع القيادات حوله فى ظروف مناخية صعبة فى مصر إلا أن حملته من القصير إلى الإسكندرية كانت أقرب ما تكون إلى نزهة عسكرية منعا إلى أى شئ آخر.

وقدم مكارى فى يومياته هذه وصفا سريعا ولكن له دلالته الهامة لعمليات انسحاب الفرنسيين من استحكاماتهم عند الإسكندرية إلى الأماكن التى يتجمعون فيها تمهيدا للرحيل النهائى من مصر.

وكان وصفه للقاهرة والإسكندرية مقتضبا دون ما إسهاب نظرا للمسئوليات العسكرية التى كانت منوطة به خلال عمليات السيطرة على الإسكندرية. ونلاحظ أن هذه اليوميات لم تشر إلى أية انطباعات لدى المصريين نحو هذه الحملة الإنجليزية. حقيقة كانت حركة قوات الجنرال بيرد سريعة سواء على طول نهر النيل حتى القاهرة أو عبر الدلتا إلى الإسكندرية إلا أن عدم وقوع أية مصادمات أو علامات ترحيب بها تقدم لنا أدلة على أن الشعب المصرى وقف من هذا الصراع الإنجليزى العثمانى ضد الفرنسيين موقفا محايدا مشوبا بالحذر.

الترحيب الوحيد الذى ورد فى يوميات «مكارى» هو ذلك الذى كان من جانب مماليك مراد بك فى الصعيد ومن الصدر الأعظم العثمانى وريس أفندى الذى كان فى صحبته. أما أعيان البلاد ومشايخ الأزهر وعلماء الإسكندرية فلا دور لهم لا مع ولا ضد. ولا حتى تحرك عربان لمهاجمة الإنجليز، ولا حتى قاموا بعمليات فردية.

إن المؤشرات تؤيد وجهة نظرنا فى أن الشعب وقف من الإنجليز ومن الفرنسيين موقف المتفرج على كافرين أراد الله لهما أن يقتتلا نصرة للإسلام والمسلمين.ومن ناحية أخرى فإننا نرى أن المصريين بصفة عامة كان قد أصابهم نوع من الإنبهار من التطورات التى ألمت بالبلاد خلال ثلاث سنوات من الأحداث الجسام. فلا المماليك - الذين كانوا يتشدقون بجبروتهم - استطاعوا الصمود أمام الفرنسيين، ولا العثمانيون استطاعوا أن يكسبوا بأنفسهم معركة احتلال الكفار لواحدة من أعز أراضى المسلمين، وها هم الإنجليز قد قدموا إلى مصر هابطين من أسطول البحر المتوسط عند الإسكندرية للإستيلاء عليها وعند

القصير للإنطلاق منها إلى قنا فالقاهرة فالإسكندرية وعند السويس للإنطلاق منها إلى القاهرة: إنها لتحركات كبرى لم تكن قد وقعت مثيلاتها من قبل.

إننا نرى أن ضخامة الأحداث خلال السنوات الثلاث ١٧٩٨ - ١٨٠١ هزت الفكر المصرى - على مختلف مستوياته - هزة شديدة. وأثرت هذه الهزة على تقييماته للقوى الكبرى المسئولة عن سلامة مصر وشعبها: السلطان العثمانى والمماليك فقد تدهورت مكانتهما جدا فى نظر المصريين، وفضلوا أن يتحولوا إلى مراقبين لفترة حتى تنجلى الأمور وتتضح.

ما هى التطورات التاريخية التى جعلت من الهند الإسلامية تتحول إلى قاعدة أوروبية - وخاصة إنجليزية - ضد مصالح وتطور البلاد الإسلامية بصفة عامة والمنطقة العربية بصفة خاصة، وإن توجه الحملات منها إلى تلك المنطقة سواء ضد الأوربيين (الحملة الفرنسية على مصر والشام) أو ضد أهل البلاد الرافضين لأى نوع من أنواع الأستعمار؟

خلال العصر العباسى أخذ العالم الإسلامى يتسع ويزداد فى نفس الوقت تفككا سواء فى إتجاه الغرب أو الشرق، كذلك أخذ حجم التجارة بين الشرق والغرب يزداد زيادة تصاعدية حتى أصبحت مظهرا من مظاهر الثراء سواء لدى المصدر الشرقى للتوابل أو لدى المسيطر على طرق النقل عبر الخليج العربى والعراق أو عبر البحر الأحمر ومصر أو فى دوائر المناطق المستهلكة فى أوربا لما يرد إليها من الشرق وخاصة (الهند).

وكان طريق التجارة بين الشرق والغرب عبر العراق أكثر ازدهارا من منافسة الطريق عبر البحر الأحمر ومصر إلى أوربا وكان من الأسباب الرئيسية التى أدت إلى هذا التحول نكبة المغول للعراق ١٢٥٨م/ ٦٥٦هـ . حقيقة أضعفت الحروب الصليبية من قوة تيار التجارة بين الشرق والغرب عبر الشام، إلا أن حركة النقل عبر البحر الأحمر ومصر ازدهرت خلال القرون من الثالث

عشر حتى مطلع القرن السادس عشر. حتى لقد كانت ثروة المماليك - حكام مصر والشام والحجاز - كانت تتأتى أساسا من الجمارك على التجارة المارة عبر مصر بين الشرق والغرب.

وإذا كانت العوامل الاقتصادية هى التى كانت تتلوا العوامل الدينية كدوافع للحركة الصليبية، فان الدوافع الاقتصادية هى التى كانت لها الأولوية على الدوافع الدينية فى حركة الكشوف الجغرافية التى انطلقت بها دولتا شبه الجزيرة الليبيرية منذ حوالى منصف القرن الخامس عشر.

وكان من بين أهداف ملوك البرتغال فى الوصول إلى الهند عبر طريق لا يمر بأرض إسلامية، ضرب العالم الإسلامى من خلف، وبدأت هذه السياسة تتخذ شكلا تنفيذيا فى أعقاب استكمال البرتغاليين لخريطة الطريق البحرى من رأس الرجاء الصالح إلى شرق أفريقية، ومنها إلى ساحل ملبار، اذ انطلقت الأساطيل البرتغالية من قواعدها فى الهند إلى الخليج العربى للسيطرة عليه الأمر الذى نجحت فيه نجاحا كبيرا للأسباب الرئيسية التالية:

١ - التفوق المادى المالى.

٢ - التفوق العسكرى: نوعية السفن والمدفعية والعدد الكبير منها.

٣ - عدم إدراك حكام الهند الإسلامية المخاطر المترتبة عن وجود أساطيل أوروبية فى المياه الإسلامية الجنوبية (المحيط الهندى).

٤ - تفكك العالم الإسلامى إلى قوى كبرى متحاقدة.

(أ) المماليك (ب) الأسرة الصفوية (ج) الأسرة العثمانية

(د) التفكك الواضح فى منطقة الخليج بعد ضرب القوى المتعاونة فيما بينها ضد البرتغاليين.

كانت الثروات لدى مملكتى شبه جزيرة أيبريا تتضخم بفعل ما يتدفق

عليهما من المستعمرات فى العالم الجديد (الأمريكتين) ومن التوسعات المجزية المستمرة الأمر الذى كان يغطى بدون أزمة النفقات الباهظة التى كانت تتكلفها عمليات بناء الأساطيل التى تعمل فيما وراء البحار وعبر المحيطات، وتغطية نفقات رحلاتها البعيدة المدى ذهابا وعودة فى كثير من الأحيان.

فقد كشفت الدراسات التى تركزت على دراسة العائدات المادية المترتبة عن الحملات العسكرية ـ التجارية البرتغالية بين الشرق والغرب ـ عن مكاسب ضخمة فى نفس الوقت الذى أخذت تجف فيه شرايين التجارة سواء عن طريق البحر الأحمر/ مصر إلى أوروبا أو عن طريق الخليج العربى.

ومن ثم كانت المملكتان الايبيريتان على ثراء مادى بالقياس إلى الدول الكبرى الإسلامية حينذاك: دولة المماليك فى مصر وفى الشام والحجاز، والدولة العثمانية فى تركيا والأناضول، والدولة الفارسية الصفوية والدولة المغولية فى الهند. وهى الدول الأربع الإسلامية الأقدر على مواجهة الخطر البرتغالى.

حقيقة كانت دولة المغول فى الهند على قوة واضحة، وكانت على ثراء كبير، إلا أن الصراعات داخل القارة الهندية كانت شبه مستمرة ومروعة، فضلا عن أن الاتجاهات البحرية لدى هذه الدول العظيمة كانت غير ذات أهمية.

ولكن الأخطر من ذلك، أنه رغم المشاعر لدى كل من القيادات الحاكمة فى تلك الدول الثلاث فى الشرق الأوسط كانت تدرك بدرجات متفاوتة مدى الخطر الذى يكمن وراء ظهور تلك الأساطيل البرتغالية العدوانية فى المياه الإسلامية الجنوبية إلا أن ما كان بينها من تناقضات مذهبية وسياسية واستراتيجية كان يحول دون تكوين جبهة إسلامية واحدة أمام العدوان البرتغالى وغيره.

فبينما كانت الدولة العثمانية تنظر بعين الحذر إلى دولة المماليك - التى كانت محتاجة إلى دعم الدولة العثمانية ضد مخططات البرتغال - كان المماليك أشد حذرا من الدولة العثمانية، وكان كل منهما يكن حالة رفض للدولة الصفوية

فى فارس التى كانت تبادل الدولتين العثمانية والمملوكية حالة الرفض للآخر. بل لقد عقـدت الدولة الصفوية اتفاقيـة مع البرتغاليين تقضى بحـصولهم على هرمز وجوادور، وعلى انفراد فارس بالقطيف والبحـرين. فكان طبيعيا أن يزداد ضغط الأسطول البـرتغالـى على البلاد الإسـلاميـة فى منطقـة الخليج وحـوض البحـر الأحمر خاصة بعد هزيمة المماليك فى معركة ديو البحرية ١٥٠٩، وتركيز الفرس على الجبهـة العثمانية العراقـية بعد هزيمتهم فى جالديران أمام العـثمانيين ١٥١٤ وهزيمة المـماليك أمـام العـثمـانيين واسـتيـلائهم على مـصـر والشـام والحجـاز (١٥١٦/١٥١٧).

ويبدو أن الدبلومـاسيـة البرتغاليـة فى المنطقة الجنوبيـة من الشرق الأوسط كانت تسعى إلى أن تكسب على حسـاب تلك العداءات والتناقضات بين الدول الإسلامية الثلاث. فلم يكسب البرتغاليون فارس إلى جانبهم فقط بل لقد عملوا على التوصـل إلى تفاهم مع الدولة العثـمانيـة للحصول على حـق الملاحة على طول البحر الأحمر (١٥١٤). ولكن العثمانيين رفضوا هذا الطلب الذى ينضوى على مخاطر مروعة.

حقيقة انطـلقت القدرات العثمانية من البصرة ومن السـويس لكسر شوكة الأساطيل البرتغاليـة التى بدأت تدق أبواب بغداد من البصرة، وأبواب الأراضى المقدسة الإسـلامية فى الحجاز من بريم، إلا أن الحمـلات البحرية العثمـانية كلها باءت بالفـشل. الأمر الذى أسـهم فى أن تصبح الميـاه الإسلامـية فى حـالة فراغ عسكرى حيث أن القوة البرتغاليةهناك فى النصف الثانى من القرن السادس عشر فى حالة تدهور مـستمر بينمـا كانت هناك ثلاث دول أوروبية غربيـة تعمل على اقتحام ميدان الاستعمار باستخدام القوة المحيطة : هولندا - إنجلترا - فرنسا على حساب القدرات البحرية الاسبانوبرتغالية.

وكـانت انطلاقـة هذه الدول الثـلاث الغـربيـة الأوروبية بـعد الانتـصـار

الإنجليزى البحرى الكبير على الإرمادا الأسبانية في ١٥٨٨، وانطلقت السفن الهولندية إلى رأس الرجاء الصالح فى (١٥٩٥) وتشكلت شركة الهند الشرقية البريطانية ابتداء من ١٦٠٠م/ ١٠٠٩هـ . وأدى التنافس بين هذه القوى البحرية الثلاث (البرتغال - هولندا - انجلترا) إلى أن يتفوق الهولنديون أولا على البرتغاليين ثم إلى تفوق إنجلترا على كل منهما، لتحصل إنجلترا على فرص واسعة لتثبيت مكانتها وتفوقها فى المياه الإسلامية/ الهندية وفى الخليج العربى خاصة عندما تحالفت مع فارس ضد الوجود البرتغالى فى هرمز ونجحتا فى طرد البرتغاليين من هرمز ١٦٢٢ لتتفوق إنجلترا من بعد هولندا حتى أجهزت على مكانة هولندا فى الخليج بخروجها من جزيرة خرج فى ١٧٦٥.

واقتصر التنافس فى الخليج العربى على إنجلترا وفرنسا التى زجت بقدراتها البحرية الاستعمارية إلى المحيط الهندى وإلى الخليج العربى منطلقة فى عملياتها من جزيرة فرنسا ومحاولة أن تتخذ من سلطان مسقط حليفا لها فى المنطقة لتدور بين فرنسا وإنجلترا منافسات متطاولة على من تكون له الحظوة لدى سلطان مسقط الذى كان يمثل أكبر قوة بحرية إسلامية ليس فقط فى الخليج العربى وإنما كذلك فى شرق أفريقيا.

وفى هذا الوقت الحساس من التنافس الاستعمارى الإنجليزى الفرنسى فى تلك الجهات تعرضت هذه القوة البحرية العمانية لتطورات كبرى أثرت عليها تأثيرا كبيرا. ونعنى بذلك نجاح الدعوة الإصلاحية على الطريقة السلفية بقيادة آل سعود (الحركة الوهابية). ونظرا لأن النظام الحاكم فى مسقط (أسرة البوسعيد) كانت ترى أنها هى صاحبة الحق الشرعى فى الحكم لدورها فى استقلالية البلاد وتنميتها، فقد رفضت مبادئ ومطالب آل سعود الأمر الذى جعل القتال بين البوسعيد وآل سعود مسألة متواترة عبر السنوات والعقود.

وقد أحرزت إنجلترا تفوقا على فرنسا خلال حروبها ضد لويس الرابع التى

انتهت بصلح اوترخت ١٧١٣ الذى حصلت فيه انجلترا على جبل طارق وخلال حرب السنوات السبع التى انتهت بصلح باريس ١٧٦٣ وحصلت إنجلترا من وراء ذلك على الغالبية العظمى من مستعمرات فرنسا فى العالم الجديد كما فقدت معظم مستعمراتها فى الهند.

حقيقة لا يكاد يمر عقد من الزمان حتى خسرت إنجلترا حربها ضد الأمريكيين الذى حققوا استقلال الولايات المتحدة، إلا أن ذلك أدى إلى زيادة تركيز الحكومة البريطانية فى لندن وشركة الهند الشرقية البريطانية فى سملا على تقوية قبضتها على ما كان تحت يدها من مستعمرات وعلى الحصول على المزيد من المستعمرات وعلى المزيد من الأسواق، وعلى طرق مواصلات أكثر سرعة من طريق رأس الرجاء الصالح الذى أصبح أشبه ما يكون باحتكار إنجليزى له، خاصة عندما انتهزت إنجلترا فرصة تحالف هولندا مع فرنسا خلال تسعينيات القرن الثامن عشر - فى أعقاب الثورة الفرنسية - واستولت على رأس الرجاء الصالح (الكاب) وهذا يعنى ان الطريق البحرى المباشر بين غرب أوروبا و(الكاب) الى الهند أصبحت تحت سيطرة شبه كاملةللأسطول الإنجليزى.

فى هذه الظروف تقرر إرسال الحملة الفرنسية إلى مصر تحقيقا لآمال مترددة داعبت الفرنسيين خاصة منذ مشروع الفيلسوف ليبنيتز الذى قدمه إلى لويس الرابع عشر ليستولى على مصر. وما أن نزلت الحملة الفرنسية حتى عملت على تقوية قبضتها على السواحل المصرية المطلة على البحرين المتوسط والأحمر (الإسكندرية - رشيد - دمياط - السويس) حتى إذا ما نكب نلسون الأسطول الفرنسى فى موقعة أبى قير البحرية (١٧٩٨) عمل الفرنسيون على تحصين السويس والقصير ضد حملات محتملة تشنها القوات الإنجليزية من الهند ولذلك وضع الفرنسيون يدهم على القصير. وعندما وجد الفرنسيون أن مقاومة مراد بك فى الصعيد غير قابلة للزوال فى وقت كانت فيه الحملة الفرنسية تتوقع

هجمات عليها من أكثر من جهة أتفق كليبر مع مراد بلك فى أبريل ١٨٠٠ وقدنص الاتفاق/ المعاهدة بالنسبة للقصير على أن تكون فيها حامية فرنسية رغم أن القصير كانت بمقتضى تلك المعاهدة تحت مظلة حكم مراد بك الذاتى الكامل. وهذا يرجع إلى ما كانت تمثله القصير من أهمية استراتيجية للفرنسيين فى مصر. وهى أهمية أستراتيجية كانت على مستوى عالمى كذلك لدى السلطات الإنجليزية فى الهند البريطانية.

لقد كان مجرد وجود فرنسى استعمارى فى مصر كفيل بان يخلق نوعا من المواجهة الإنجليزية لهذه المسألة بطريقة غير تقليدية على اعتبار أن الحملة الفرنسية نفسها هى مشروع استعمارى فرنسى غير عادى فى مواصفاته. وكانت حكومة الهند البريطانية قد اتخذت إجراءات واسعة النطاق لتطوق الحملة الفرنسية، وهو ما يمكن أن نسميه (احتواء)[1] وتمت هذه العملية على مراحل:

المرحلة الأولى : تأمين العراق والخليج ضد أية محاولات فرنسية للتعاون مع القيادات الحاكمة أو مع الزعامات العديدة فى العراق وفى الخليج أو فى منطقة رأس الرجاء الصالح، والتحكم فى منفذ البحر الأحمر (جزر بريم وسقطرة).

المرحلة الثانية: إرسال قطع بحرية حربية إلى البحر الأحمر لاستعراض القوة أمام الحكام فى اليمن وفى الحجاز.

المرحلة الثالثة: إرسال حملة بحرية لفتح جبهتى قتال جديدتين للإجهاز على الوجود الفرنسى فى مصر.

فى المرحلة الأولى أسرعت حكومة الهند البريطانية إلى إرسال مقيم بريطانى إلى (بغداد) على نشاط كبير لمراقبة أية تطورات تفيد أو تضر بمكانة

---

(١) Contaimdent

بريطانيا فى المنطقة، وكانت هذه هى المسئولية التى أنيط بها هرفورد جونز[1].

وأرسلت إنجلترا إلى سلطان مسقط بمبعوثها (مهدى على خان) لكى يقنع السلطان البوسعيدى بالتحالف مع الإنجليز ضد الفرنسيين، أوبمعنى آخر القضاء على آمال بونابرت فى كسب السلطان البوسعيدى إلى جانبه. وكان بونابرت يعول كثيرا على مفعول خطابه إلى السلطان العمانى إلا أن هذا الخطاب وقع فى قبضة الإنجليز ولم يصل أبدا إلى سلطان مسقط.

وبهاتين الحركتين الدبلوماسيتين فى بغداد وفى مسقط يكون الإنجليز قد أمنوا هذه الجبهة ضد إمكانية أن ينفذ إليها الفرنسيون بطريقة أو بأخرى. فلما وصلت أنباء تحطيم نلسون للأسطول الفرنسى فى معركة أبى قير البحرية أصبحت القدرات الدفاعية الإنجليزية المنطلقة من الهند قادرة على التحول إلى الهجوم، خاصة بعد أن سيطرت السفن الحربية الإنجليزية على مداخل البحر الأحمر عند سقطرة وبريم. وقد قام بهذه المهمة الضابط ج.موى J. Murra[2] فى ١٧٩٩ إلا أنه غادرها إلى عدن لعدم توفر المياه فيها.

وهذا يفتح الباب على مصراعيه أمام دخول القطع البحرية الإنجليزية إلى حوض البحر الأحمر، منطلقة من موانئ الهند الغربية أو من ميناء رأس الرجاء الصالح (الكاب). ولقد كان بونابرت منذ بداية تفكيره فى قيادة حملة فرنسية إلى مصر، كان يدرك خطورة استيلاء الإنجليز عنوة على (الكاب) من يد الهولنديين حلفاء فرنسا (١٩٧٥).

ولقد كان انطلاق السفن الحربية الإنجليرية فى حوض البحر الأحمر يتطلب استخدام الموانئ على الساحل اليمنى وعلى طول ساحل الحجاز. ونظرا لأن حكام اليمن (الأمام) والحجاز (الشريف) من وجهة نظر الدولة العثمانية كانوا يتبعونها وعليهم أن يتعاونوا مع حلفائها (الإنجليز)، ونظرا أيضا لأن

---

(١) Hardfard Johones

(٢) وهو أحد القواد الذين شاركوا فى حملة الجنرال بيرد على القصير حتى الإسكندرية

هؤلاء الحكام كانوا جزءا من نظام عام حينذاك يقوم على أساس واقعية حكم العصبيات الحاكمة مثل أشراف مكة، ونظرا لان إمام اليمن كان يرى أن لا سلطان لأحد عليه، فقد كانت الأولويات السياسية بصفة عامة لدى مثل هذه العصبيات الحاكمة المستقلة أو شبه المستقلة تفرضها المصالح العصبية والقطرية وتضعها فى المقدمة قبل المصالح العامة التى تفرضها الدولة الإسلامية العامة (الدولة العثمانية).

ولكن عندما قررت حكومة الهند البريطانية إرسال حملة إنجليزية إلى البحر الأحمر، والى (القصير) بالذات للأجهاز على الوجود الفرنسى فى مصر كان من الضرورى لهذه الحملة أن تستخدم موانى جدة ومخا.

ونلاحظ أن سفن هذه الحملة استخدمت فعلا، وبحرية كاملة ودون أدنى مقاومة، هذين الميناءين (جدة ومخا).

من هذا المنطلق يمكننا أن نفسر المخاوف الشديدة التى كانت لدى الشريف غالب - شريف مكه- من الوجود البحرى العسكرى الإنجليزى فى حوض البحر الأحمر. حتى لقد كتب الشريف غالب إلى إمام اليمن بهذا المعنى.

لقد كان الشريف غالب على علاقات قوية - خاصة فى مجال التجارة - مع مصر تحت الإحتلال الفرنسى. وكان بن اليمن يجد طريقه بسهولة إلى مختلف أجزاء مصر، ولكن نظرا لأن أحوال الفرنسيين كانت فى تدهور مستمر، وتنتظر يوم الرحيل النهائى عنها فان المسئولين فى الحجاز واليمن كانوا من بعد النظر حتى أن يسمحوا للقطع البحرية الإنجليزية أن تستخدم ميناء جدة ومخا. فكان أن تمت مسيرة الحملة الإنجليزية الهندية إلى القصير وإلى السويس وإلى القاهرة حتى خروج الحملة الفرنسية من مصر نهائيا ومن بعد ذلك أفادت هذه الموانئ الإسلامية العربية فى حوض البحر الأحمر من عملية رجوع الحملة الإنجليزية من مصر إلى الهند.

إن يوميـات مكارى - أحد كبار ضـباط الحملة الإنجليزية ـ الهندية بـقيادة الجنرال بيرد على القـصير حـتى الإسكندرية - تقدم لنا سجـلا يوميا لتحـركات قوات الحملة الهندية من منطلق الموضوعيـة والمشاهدة المباشرة لما كان يلفت نظره خلال تلك الرحلة الشاقة عبر الصحراء من القصير إلى قنا، وعلى طول نهر النيل من قنا إلى القاهرة ثم إلى الإسكندرية ورشيد.

وانه لأمر يلفت النظر انه خلال هذه المسيرة الطويلة لم يتحدث مكارى عن وجود أية مقاومة من أية جهة أو جماعة. فلماذا؟

بادئ ذئ بدء ليس فقط من مسئوليات المؤرخ أن يتصدى لأحداث الصراع أيا كان هذا الصراع، وإنمـا مسئولياته كـذلك أن يتحرى أسباب المواقـف السلبية لتفـسيـرها حيث أن المواقف السلبـية أحيـانا لا تقل عن التطورات والمصـادمات والأحداث التى يصفهـا بعض بأنها من الإيجابية لدرجة انه من الأجـدر بالتركيز عليها، وإننا لا نأخذ بهذا الإتجاه. وتقدم لنا يوميات مكارى فرصة واسعة فى هذا الصدد.

فلماذا لـم تحدث تعديات أو مـواجهـة أو مقاومـة من جانب التـر كيـبات العشـائرية فى الصحراء الشرقـية خلال عمـليات عبور القـوات الإنجليزية لتلك الصحراء من الشرق إلى الغرب (من القـصير إلى قنا)؟ ولماذا لم تقع تعديات أو مواجهات من جانب القبائل العربية على طول مسيرة القوات الإنجليزية فى النيل من قنا إلى سوهاج على اعـتبار أن هذه المنطقـة الجنوبية من صعـيد مصـر كانت تحت إدارة مراد بك بمقتضى المعاهدة المعقودة بينه وبين الجنرال كليبير فى ٤ إبريل ١٨٠٠؟ ومن ثم فهى منطقة من الناحية النظرية كـانت مؤهلة بمن فيها من عربان لمقاومة الحملة الفرنسية، خاصـة إذا أخذنا فى الإعتبار أن مراد بك كان صادقا فى تحالفه مع الفرنسيين حتى آخر لحظة إذ كان قد غادر ديرته متجها نحو الشمال مع الحملة الفرنسية لقـتال الجيوش العثمانية القادمـة من الشمال والجيش الإنجليزى

الذى ضرب الحصار على الإسكندرية ولكن مات مراد خلال ذلك.

وفيما يلى العوامل التى تفسر هذه السلبية من جانب القبائل العربية إزاء هذا الإجتياح السريع الإنجليزى للصحراء الشرقية وعلى طول الصعيد.

قامت البحرية البريطانية الهندية بقصف قلعة القصير فى صيف ١٧٩٩ حتى دمرت معظم القلعة، وعندما عمل الفرنسيون على إصلاحها ووضع مدفعية ثقيلة بعيدة المدى للتصدى لهجوم بحرى منتظر من جانب الأسطول الأنجليزى، واجه المسئول الفرنسى مشكلة نقص شديد فى السيولة النقدية لتغطية نفقات الترميم، كما واجه صعوبة نقل مدفعين كبيرين من قنا إلى القصير عبر الصحراء.

المعروف عن التركيبات العشائرية - بصفة عامة - إن ولاءها الرئيسى يتمحور حول نفسها أولا، وثانيا لمن يحكم بقوة السلاح قبضته على ديرتها ومراعيها ومضاربها، ومن ثم فهى لا تخضع إلا لمن هو صاحب القوة الضاربة المحسوسة. وطوال العهد العثمانى المملوكى، وخلال الاحتلال الفرنسى لمصر، كانت القبائل العربية قوة ضاربة ضد الفرنسيين، وان كانت بعض القبائل قد عملت تحت راية الفرنسيين.

ولكن بالنسبة للصحراء الشرقية بين القصير وقنا، نلاحظ أن المنطقة شديدة الفقر بل هى أقرب ما تكون إلى قاحلة منها إلى أى وصف آخر، تكاد آبار المياه العذبة أن تعد على الأصابع، والأمطار تجرى فى أخوار قصيرة سرعان ما تبتلع ما يمر بها من مياه، ومساحات الكلأ اللازمة لتغذية الماشية أو الضأن ضئيلة للغاية، ومعظم الآبار هناك ذات مياه غير مستساغة.

والطقس فى تلك المنطقة شديد الحرارة طوال فترة الربيع والصيف والخريف لا يمكن أن يحتمى المرء هناك إلا بخيمته نهارا ليتنفس هواء معتدلا ليلا. ولذلك كان تعداد العربان فى تلك المنطقة ضئيلا، وكانت تحركاتهم على مساحات واسعة، وكانت أعداد قطعانهم قليلة انعكاسا لعدم كفاية المراعى والمياه

لإعاشة قبيلة كبيرة ذات قطعان كثيرة.

إن مثل هذه القبـائل لا تستطيع أن تفرز من المقاتلين والخيـالة سوى أعدادا قليلة جدا، ولذلك فان الأجدى لها أن يكون نشاطهـا قاصرا على ما تتطلبه الحياة اليوميـة لهم من أعمال بدائية، ومن عـمليات تجارية محدودة تـرتكز على ما كان يرد إلى القصير من بضائع من اليمن ومن الحجاز بصفة خاصة.

وكان أهالي القصير من عرب الجزيرة العربية فى غالبيتهم العظمى من ينبع حتى أطلق عليـهم «الينابعة»، وهم أهل تجارة عبـر البحر الأحمـر فى زمن كانت فـيه القـصيـر قد فـقـدت أيام عزها لصـالح مينـاء السويس. ومن ثم فـان تلك الإمكانيات الاقـتصاديـة المحددة لميناء القصـير أعطت الفـرصة لان يكون سكان القصـير فى غالبـيتهم من غـير المصريين، وإنما من الحـجاز. وهو وضع لا يعطى الفرصـة لإقامـة روابط أقوى من الروابط التى تنتج عـن الأمال التجـارية لسكان وافدين وجوههم أكـثر تطلعا إلى وطنهم الأصلى (الحجـاز)، ومصداق ذلك انه عندما عزمت القوات الفرنسية على أن تسيطر على ميناء القصير، لم يلبث هؤلاء الينابعة أن غادورا القصير إلى الحجاز.

إن صورة الصحـراء الشرقية عند أواخـر القرن الثامن عشـر وأوائل القرن التاسـع عشر تنـم عن إنها كانـت منطقة فـراغ بشرى غيـر قادرة على أن تـسهم إسهاما ايجابيا فى المجالات الاقتصادية أو فى الدفاع عن القصير أو قنا.

لقد كانت عمليات نقل القوات الإنجلـيزية من القصير إلى قنا لا تواجه أية مقاومة، بـل استقبلها العربان هناك بتـرحاب وتعاونوا معها فى مـجالات التزود بالمياه والأغذية وكان التـعاون محدودا ولكن كانت له أهمية كـبيرة من حيث أنه أسهم فى المسيرة السريعة الإنجليزية من القصير إلى قنا.

وهناك عند قنا لـقى جيش الجنـرال بيرد تعـاونا كـامـلا من كافـة القـوى السياسية والاجتماعـية هناك. وقد صور لنا مكارى كيف أن الأوامر صدرت من

الجنرال هتشنسون إلى الجنرال بيرد ليزحف بقواته بأقصى سرعة إلى القاهرة. وكان الزحف على طول نهر النيل برا يعنى تعرض الجيش لمشاق ضخمة فى عز صيف الصعيد الجنوبى. ولذلك تقرر أن يكون انتقال الجيش من قنا إلى القاهرة بواسطة نهر النيل.

ولم يكن لدى قوات بيرد أية استعدادات لمثل هذه المسيرة النهرية، ومن ثم كان لابد للجيش من الحصول على القوارب اللازمة لنقل الجيش برجاله وعدته وعتاده. وفى قنا حصل الإنجليز على القوارب اللازمة لهذه العملية وانطلقت الحملة الإنجليزية على طول النهر إلى القاهرة، بينما كانت بعض قواتها تسير على طول النيل برا دون أن تتعرض لأية مضايقات أو مقاومة.

وعندما وصلت حملة الجنرال بيرد إلى القصير ثم إلى قنا لم تواجه بأية مقاومة هناك لأمرين جوهريين وهما أن القيادة العامة الفرنسية فى القاهرة أصدرت أوامرها إلى حامية القصير وحاميات الفرنسيين فى الصعيد بالعودة إلى القاهرة للدفاع عنها ضد الجيش العثمانى القادم من الشام إلى الدلتا، وحيث أن القصير ـ قنا كانت داخلة ضمن مسئوليات مراد بك بمقضتى المعاهدة المعقودة بينه وبين كليبير، قد كان من المفروض أن يضع فيها مراد بك قوة من قبله للدفاع عن المدينة الميناء التى تعتبر المدخل التجارى العسكرى للصعيد من جهة البحر الأحمر.

ولكن مراد بك - الذى استدعته القيادة العليا الفرنسية إلى القدوم إليها للمشاركة مع الفرنسيين فى الدفاع عن القاهرة - فضل أن يخوض معركته فى الجبهة التى يكون فيها فصل الخطاب (القاهرة) و(الإسكندرية)، فزحف فعلا بما لديه من قوات ولكن المنية وافته ليدفن فى مسجد العارف بالله فى سوهاج. ولتنتقل الإمارة إلى عثمان بك الطنبورجى بمقضتى أمر صادر من القيادة العليا.

ولاشك أن وفاة مراد بك - بينما كانت الحملة الفرنسية تواجه الهجمات

من أكثر من جانب - أدت إلى وضع جديد للغاية حيث أن خليفته فى إمارة المماليك (عثمان بك الطنبورجى) أعاد النظر فى الموقف كله ووجد أن من الخير له ولمن تحت أمرته من المماليك أن ينفضوا أيديهم من الحملة الفرنسية التى كانت فى طريقها إلى هزيمة شاملة وأن يتعاونوا مع القادمين الجدد (الإنجليز). ولذلك كان الطنبورجى من أوائل المماليك الذين ربطوا مصيرهم بالدعم الإنجليزى.

وبالتالى، فان القوة الرئيسية التى كان من المفترض أن تقاوم فى الصعيد (المماليك) كانت قد غيرت من سياستها تغييرا كاملا من الفرنسيين إلى الانجليز ولقد تحدث مكارى عن الطنبورجى مبينا كيف كان الرجل مفيدا كل الفائدة لمسيرة جيش الجنرال بيرد من قنا إلى القاهرة.

ولاشك أن هذا التعاون الكامل بين المماليك والحملة الإنجليزية بقيادة الجنرال بيرد شل قدرات العربان ووضعهم فى موقف انتظار ما تسفر عنه الأمور حتى لا يتعرضوا من بعد لانتقام الإنجليز إذا ما انتصروا على الفرنسيين، ولا شك أن تجارب السنوات الثلاث الماضية كانت ماثلة أمام القبائل العربية فى صعيد مصر وحوله من حيث أنها قاومت بضراوة الفرنسيين لفترة طويلة منذ غزو الفرنسيين لصعيد مصر حتى عقد مراد بك لمعاهدته مع كليبير فى أبريل ١٨٠٠. فماذا كانت النتيجة؟

لقد ظل العربان والمماليك يقاتلون الفرنسيين طوال تلك الفترة وبدعم ودور كبير من جانب الفلاحين دون أن يمدهم لا العثمانيون ولا غيرهم بأى دعم يذكر سوى حملة من بضع مئات من مجاهدى الجزيرة العربية بقيادة الكيلانى لم يلبث أن ذابوا فى البلاد. حتى لقد فت ذلك فى عضد مراد بك لدرجة قبول الهيمنة الفرنسية فى مقابل حكم ذاتى كامل فى المنطقة المحصورة بين سوهاج وأسوان.

وعندما بدأت المعارك الحاسمة تدور حول القاهرة والإسكندرية والسويس

أسرع الفرنسيـون إلى سحب كل قواتهم للتمركز فى القـاهرة والإسكندرية غير آخذين فى اعتبارهم مـصير المتعاونين معهم فى صعيد مـصر لعجزهم عن الوفاء بشئ نحوهم. ولذلك فقد كان الصعيد قد اصـبح خاليا من أية قوة دفاعية فرنسية أو موالية للفرنسيين خاصة بعد وفاة مراد بك وتوليه الطنبورجى مكانه.

أما الفلاحون على طول الوادى فكانوا يقومون بدعم التحركات العسكرية المقاتلة ضـد الفرنسيين وكانوا يقـومون بالثورات. إلا أنه كانت تعـوزهم القيادة، ولذلك لم تحدث ثورة فـلاحية عـامة لا فى الصـعيد ولا فى الدلتـا، وإنما وقعت ثورات فلاحيـة فى مناطق متفرقـة متباعـدة مكنت الفرنسيين من التغلـب عليها الواحدة بعد الأخرى. وقـد كان هذا فى الوقت الذى تأججت فيه مشـاعر الجهاد ضد الغزاة (الكفرة) الفرنسيين. أما بالنسبة لحملة الجنرال بيرد فالأمر جد مختلف كل الاختلاف عما سبق.

فجيش الجنرال بيرد جاء إلى مصر من قـبل دولة حليفة للسلطان العثمانى واجب الطاعـة. فهو قـد دخل البلاد بطريقـة شرعـية وليس بطريقـة الخداع التى استـمرأتها السلطات الاستـعمارية الفـرنسية فى القاهرة عندمـا أصرت على أن الحملة الفرنسية ما جاءت إلا برضاء السلطان العثمانى.

ثم أن القـوى المنوط بهـا الدفاع عن البـلاد قـد أصبـحت إلى جـانب هذه الحملة الإنجليزية، ونعنى بذلك المماليك. ومن ثم يكون على فلاحى مصر، وعلى الأهالى فى المدن أن يستقبلوا الحملة الإنجليـزية بكل ترحاب على اعتبار أنها أداة من أدوات السلطان والله إذ يضـرب الكفار بعضهـم ببعض تخليصـا للمسلمين من شرورهم على نحو ما عبر عنه عبدالرحمن الجبرتى.

حقيـقة كان هدف جيش بيرد هو طرد الحـملة الفرنسية من مـصر حتى لا يصبح وجود هذه الحملة الفرنسية فى مصـر ورقة يستخدمها نابليون بونابرت فى مـفاوضـاته مع الإنجليـز للتوصل إلى تسـوية شـاملة لما بين فـرنسا وإنجلتـرا من

مشكلات أدت إلى حرب طويـلة خرجت منها الدول المتحالة مـع إنجلترا وبقيت هى وحدها فى السـاحة وعندمـا أصبحت مـقاليـد الأمور فى فرنسـا فى قبـضة نابليون فـضل أن يتوصل إلى تفـاهم شامل مع إنجلتـرا. وفعلا اسـرعت القوات الإنجليزية الرئيسية إلى هزيمة مينو وبليار فى الإسكندرية والقاهرة وقدمت الحملة الإنجليزية من الهند بعد أن كـانت الحملة الفرنسية تقاتل فى أيامهـا الأخيرة حتى استسلمت واستعـدت للرحيل عن مصر إلى فرنسا طبقا لإتفـاقية عقدت لتنظيم هذه العملية على أسـاس انتقال الحملة الفـرنسية من مصر إلى فـرنسا على سفن تعدها الدولة العثمانية وإنجلترا.

لماذا حملة إنجليزية من الهند بينما كانت المقاومة الفرنسية تحتضر؟

من المعروف أن حملة بيرد قد نزلت إلى القصـير إلى جنوب صعيد مصر لكى تطبق مع القوات الإنجليزية الأخرى بقـيادة الجنرال هتشنسون على القاهرة. ولكن الذى حـدث هو هزيمة الفـرنسـيين وقـبـولهم الرحـيل، وبذلك يكون من المتوقع تطبيق الـشطر الثانى من الخطة الموضوعة لجيش الجـنرال بيرد وهو العودة إلى الهند. إلا أن الملاحظ أنه هتشنسون أصـدر أوامره إلى الجنرال بان ينتقل على الفور من الـقصيـر إلى قنا إلى أسيـوط فالقاهـرة ثم أنتقل الجيش بـعد ذلك إلى الإسكندرية ثم عاد من هناك إلى الهند على غـير ما كان يتـوقعه «مكارى» وهذا يحتاج إلى نوع من التفسير.

أغلب الظن أن عملية زحف جيش الجنرال بيرد بعـرض الصحراء الشرقية ثم على طول نهـر النيل إلى القاهرة ثم إلى الإسكندرية كـان من قبيل بـعد النظر لدى هتشنسون للأسباب الرئيسية التالية:

١ - إن ذلك من قبـيل استعراض العضـلات على طول صعيـد مصر الذى شهـد خلال السنوات الثلاث السابقـة اجتيـاحا فرنسيـا وصل إلى أقصى جنوب صعيد ووصل إلى القصير. ولكن خلال الفترة الممتدة من ربيع ١٨٠٠ حتى صيف

١٨٠١ كان الصعيد منقسما إلى قسمين أقصى جنوبه تحت حكم مراد بك تحت مظلمة الفرنسيين والقسم الشمالى من صعيد مصر كان تحت حكم مباشر فرنسى (دانزلوه). ومن ثم كان صعيد مصر أرضا معادية للإنجليز والعثمانيين، أو بمعنى آخر كانت أرض عدو. حقيقة كان مراد بك قد توفى وخلفه (طنبورجى) بك. وان طنبورجى هذا سرعان ما مال إلى جانب الكفة الرابحة إلا أن الأمر يتطلب حينذاك فرصة لسيطرة إنجليزية على صعيد مصر قبل أن يهبط إليه العثمانيون على اعتبار ان الإنجليز يدركون تماما ان العثمانيين لا يرتاحون إلى الدور الإنجليزى العسكرى فى ولاية عالية الأهمية مثل مصر. ومن ثم يمكن القول أن كلا من الطرفين كان ينظر إلى حليفه نظرة شك. ويضع فى اعتباره وقوع أزمات مستقبلية. وباجتياحات القوات الإنجليزية بقيادة الجنرال بيرد صعيد مصر يكون الإنجليز قد اسهموا الإسهام الأكبر فى تحرير مصر من الفرنسيين وهو أمر له قيمته عندما تطرح الأمور على مائدة المفاوضات إذا احتاج الأمر.

٢ - إن اجتياح القوات الإنجليزية لصعيد مصر يقدم خبرة عملية واسعة النطاق للإنجليز لاحتمالات مستقبلية بالقيام بغزوات من هذا النوع من الهند إلى مصر حفاظا على مستقبل الطرق العالمية الحديثة بين الشرق والغرب التى أثبتت الحملة الفرنسية على مصر جدواها. ومن ثم يمكن القول أن مسيرة حملة الجنرال بيرد هى أقرب إلى «التعرف» على البلاد المصرية الجنوبية أكثر منها حملة عسكرية قتالية حيث لم تصادف هذه الحملة الإنجليزية أية مقاومة.

وهناك عدة حقائق سياسية واقتصادية واجتماعية أبرزتها هذه اليوميات:

١ - الهدوء الشديد الذى خيم على صعيد مصر فى الفترة التى كانت فيها حملة الجنرال بيرد تزحف من القصير الى قنا إلى أسيوط إلى القاهرة، وهو هدوء تعتبره امتدادا لما كان عليه الحال فى الفترة التى حكم فيها مراد بك جنوب الصعيد من ربيع ١٨٠٠ إلى صيف ١٨٠١. وهو هدوء نرى أنه كان نتيجة

الأرهاق الشديد الذى أصاب البلاد خلال عمليات المقاومة ضد الفرنسيين وهى عمليات أمتدت من صيف ١٧٩٨ حتى عقد مراد بك لمعاهدنه مع كليبير فى ٤ إبريل ١٨٠٠.

٢ - إن حملة بيرد عبر الصحراء الشرقية من القصير إلى قنا هى أول من وضعت على الخريطة مواقع آبار المياه العذبة اللازمة لمسيرة جيش. ونظرا لان مياه هذه الآبار لم تكن كافية لسد حاجة القوة البشرية والخيول المصاحبة لها فقد ابتكر الجنرال بيرد خطة لمعالجة هذه المشكلة تقوم على أساس عدم وصول الجيش كله إلى بئر مياه واحدة، وإنما يتحرك الجيش على هيئة قطاعات متتالية يصل القطاع الأول إلى مكان البئر ليتزود منه بحاجته ويغادره فى طريقه إلى موقع آخر على الطريق إلى قنا، ليحل محله القطاع التالى وهكذا.

٣ - كانت حجم تجارة القصير تصديرا واستيرادا كبيرا فى الفترة التى اعقبت تدهور ميناء عيذاب كما كانت القصير ذات تجارة رائجة متبادلة مع موانئ ساحل البحر الأحمر الجنوبى، وكان محور هذه التجارة تصدير القمح من مصر إلى الجزيرة العربية واستيراد البن من اليمن وعن طريق الحجاز (جده). وقد تأثر حجم التجارة فى القصير بشدة منذ أن نزلت الحملة الفرنسية ارض مصر وسيطرت على الدلتا. حيث أن الشريف غالب وجد أن مصلحته تتطلب التوصل إلى تفاهم مع الفرنسيين فى مصر، وهو تفاهم قد أدى إلى تحول قدر كبير من تجارة القصير إلى السويس. حتى إذا ما وضع الفرنسيون يدهم على القصير فى أيام قيادة كليبير، كانت التجارة قد وصلت إلى درجة شديدة من الضعف أثرت تأثيرا شديدا على اقتصاديات قنا والصعيد بصفة عامة نظرا لأن القصير كانت بمثابة المنفذ التجارى الوحيد للصعيد على حوض البحر الأحمر.

وخلال ترجمة ودراسة التطورات التى ألمت بالحملة الإنجليزية من الهند إلى القصير اعترضتنا بعد المشكلات على رأسها:

١ - أسماء العديد من الأماكن التى يصعب العثور عليها فى الخرائط وكتب الخطط وغيرها.

٢ - أسماء الرتب العسكرية فى الجيش الإنجليزى.

ولقد حاولنا قدر استطاعتنا أن ندقق الأسماء والألفاظ الإنجليزية لكى نضع مقابلها بالعربية. ولكن المشكلة العويصة التى واجهتنا هى المقابلات العربية لمصطلحات الجيش الإنجليزى من حيث الرتب ومن حيث مسميات الفرق والكتائب وغيرها من الوحدات العسكرية التى ينقسم إليها الجيش.

ونظرا لأن لكل جيش تشكيلاته ورتبه التى كثيرا ما تختلف مع بقيه الدول الأخرى، فقد آثرنا أن نبقى هذه المصطلحات على شكلها الأصلى الإنجليزى مكتوبا بالحروف العربية حتى لا يفهم كل قارئ عربى بطريقته هو هذا المصطلح أو ذاك.

فيما يلى الترجمة من الإنجليزية إلى العربية ليوميات مكارى التى تغطى الفترة من يونيو إلى سبتمبر ١٨٠١.

(٢)

يوميات لآشلان مكاري
Lachlan Macquarie

القصير - قنا - أسيوط - القاهرة - الإسكندرية

ترجمة ودراسة وتعليق:

د. عبدالعزيز سليمان نوار

راندا عبدالعزيز نوار

Lachlan Macquarie
&
The Anglo - Indian Expedition To Egypt 1801

By

James Johnston Auchmaty., Ph.D
School of Humanities and Social Science
New South Wales University of Technology
Sydney - Australia

الجمعة ١٢ يونيو ١٨٠١:

صادفتنا رياح على نوع من الشدة من الساعة الحادية عشرة، منذ الليلة السابقة وحتى ظهر اليوم، ثم أخذت تعتدل نوعا ما، وكنا على خط العرض ٢١ ٢٦ درجة شمالا، على بعد خمسة أميال شمالي القصير [١]، وهي مقصدنا والمكان الذى تواعدنا على الإلتقاء عنده، وكنا نسير بحذائه منذ الشروق. وأصبحنا على بعد سبعة مراحل منه عند الظهر.

وفى الساعة الواحدة بعد الظهر، عندما كنا نقترب من الشاطئ - على بعد ١٤-١٥ ميلا تقريبا - شاهدنا عدة سفن كانت قد ألقت مراسيلها، ورأينا فى نفس الوقت مضارب خيام ممتدة تشير إلى أن ها هى ذى القصير الميناء الذى كنا ننشده. فاتجهنا إليه مباشرة، والقينا المراسى - عند الساعة الثالثة مساء - عند ميناء القصير، وكانت هناك البارجتان الحربيتان «رومنى[٢]» و«فيكتور[٣]» فضلا عن ١٤-١٥ سفينة نقل شراعية، وكذلك قارب المدفعية فيورى الذى وصل أمس دون أن تصل بعد سفن النقل الشراعية التى أقلعت معه من الهند.

وقد وصلت البارجتان «رومنى» و«فيكتور» فى التاسع من هذا الشهر[٤]، وعلى الفور نزل الجنرال بيرد[٥] إلى الشاطئ ليتولى قيادة القوات التى كانت قبل ذلك بقليل قد انتقلت تحت قيادة الكولونيل «مورى [٦]، والكولونيل «بيرسفورد[٧]»، إلى البر.

وبعد أن تناولنا طعام الغذاء على ظهر السفينة «وليام [٨]» نزلت أنا والميجور «ولسون [٩]» والكابتن فالكونر [١٠]، والليوتنانت بادجن [١١] إلى الشاطئ، لنكون فى انتظار قدوم الجنرال بيرد لنحيطه علما بتقرير عن وصولنا. وقد سررنا لأن نرى صديقنا الجنرال متمتعا بصحة جيدة وروح عالية. وقد جالسنا لمدة ساعتين، وبعد أن التقينا بأصدقائنا على الشاطئ، عدنا فى المساء المتأخر إلى السفينة «وليام» لنقل أمتعتنا الخاصة بالمعسكر إلى البر.

١٣ يونيو :

السبت: نزل طاقم الجنرال بيرد وأنا إلى البر ظهرا من السفينة وليام عند القصير، وعسكرنا فى خط أركان الحرب، وخلال هذا اليوم أنزلت أمتعتى كلها وحصانى إلى البر.

والمنطقة حول هذه المدينة التعسة - بكل ما به من معانى - تعتبر الأكثر - فيما وقع عليه بصرى - عزلة ووحشة: فهى إما مرتفع جبلى صخرى أجرد، أو أرض صحراوية رملية مستوية لا ترى فيها أية شجرة أو حشائش أو أى شئ يمت بصلة إلى الخضرة من أية نوع، ولا يوجد أى ماء عذب عند أو قرب القصير.

إن المدينة التى أطلق عليها ذلك الأسم «القصير» وهى فى أقصى موانى مصر العليا جنوبا، تقع ملاصقة للبحر على الجانب الشمالى من الميناء، وهى أشد فقرا وكآبة وبؤسا من أية بقعة زرتها من هذا العالم، ولقد كانت فى غابر الزمان ذات شأن وحيثية، وكانت تجرى فيها التجارة والمبادلات التجارية عن طريق قوافل منها وإلى المدن على نهر النيل. وكانت القصير هى السوق الرئيسية لتجارة البن وبضائع أخرى من بلاد العرب والهند.

والنزر القليل من المياه، الممكن الحصول عليه أحيانا بأسعار باهظة، يأتون به من مسافة بعيدة جدا داخل الصحراء، ومن ثم فان الناس هنا لم يتذوقوا طعم المياه القراح، وكانوا مضطرين إلى حفر آبار فى الرمال للحصول على مياه للشرب عطنة آسنة.

ومدينة القصير بالكاد تمون جيدا من ضفاف النيل، بواسطة العرب الرحل، بالضأن والدواجن شبه المستساغة، والعرب حاليا يهرعون إلينا يوميا فى جماعات بالمواد التموينية من كل نواحى الصحراء، إذ وجدوا أن قواتنا لديها الكثير من الأموال ويدفعون لهم بسخاء لأى شئ يشترونه منهم.

يبعد معسكرنا عن مدينة القصير والميناء بحوالى ميلين فى الإتجاه الشمالى الشرقى، وعلى يمينا البحر، ويمتد على اليسار فى اتجاه التلال، فى مواجهتها تقريبا، فأما الأرض التى نقيم عليها فقوية جدا ومتحكمة. ولكن أى اتجاه من حولنا هو صحراء جرداء تماما قميئة باستثناء ما هو نحو البحر فهى أبهج ما عندنا هناك.

١٤ يونيو :

قمنا بزيارة كافة أصدقائى فى المعسكر، وتجولت مع بعضهم فى المدينة لأتعرف عليها، وعلى قلعة متهاويه بائسة خلفها، جعلناها مخزنا للمواد التموينية الخاصة بنا وبأمتعتنا.

ألقت السفينة ليوبارد [١٢] - ذات الخمسين مدفعا والقادمة من السويس ثم الطور ويصحبها أسطول صغير - مراسيلها فى ميناء القصير، ولكنها [١٣] لم تأتنا بأخبار ذات أهمية، وقد تناولنا الغذاء اليوم على ظهر السفينة كرنواليس [١٤]، التابعة للشركة المبجلة [١٥]، بقيادة الكابتن هاردى [١٦] الذى أمتع الجنرال بيرد وطاقمه بحفل ترفيهى رقيق على ظهر تلك السفينة الجديدة الجميلة.

وفى المساء بعد الغذاء صعدت إلى ظهر السفينة ليوبارد لتقديم واجب التبجيل لكل من الأدميرال بلانكت والكابتن ساريدج [١٧].

١٦ يونيو :

الثلاثاء : (إن مسيرة هذا اليوم خصصت للأمور الخاصة بلاشلان مكارى وبوجه خاص توجسه الخيفة فيما يتعلق بمصير أخيه شارلز الذى لم يره منذ ١٤ سنة، والذى كان يخشى أن يكون قد فقده فى التشتت المميت للفرقة ٤٢ أمام الإسكندرية).

١٧ يونيو :

الأربعاء : فى الصباح الباكر غادر الكولونيل مرى - الذى أصبح الآن قائدا

فى هيئة أركان الجيش الهندى - إلى قنا على النيل، بهدف «أن يعمل على مسح للطريق الممتد عبر الصحراء إلى تلك النقطة، وكذلك للتأكد عما إذا كانت هناك أية آبار أو مصادر مياه فى ذلك الجزء من الصحراء لتغطية حاجات هذا الجيش الصغير عند عبوره من مواقعه الحالية إلى نهر النيل، وكتابة تقرير للجنرال بيرد عن ذلك.

كانت نية الجنرال بيرد هى أن يزحف الجيش عبر الصحراء إلى قنا فى وحدات صغيرة من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ رجل فى نفس الوقت يقام فعلا موقع آخر فى الصحراء. ولم يكن هناك إلا نصف عدد الدواب الضرورية لنقل كل الجيش عبر الصحراء مرة واحدة. علما بأن المياه اللازمة للقوات يجب أن تنقل على طول الطريق إلى ضفاف نهر النيل. وتبعا لذلك، تعد الترتيبات اللازمة لمسيرة الفرقة الأولى من الجيش غدا.

وكان مع الكولونيل «مارى» قوة عسكرية صغيرة تحت إمرته لتمكنه من إنشاء مراكز صغيرة على طول الصحراء فى أى مكان فيه بئر أو بقعة ذات مياه. وكانت قد صدرت التعليمات له لأن يتحصل على أكبر عدد ممكن من القوارب فى قنا لنقل جيشنا الصغير فى النيل فى حالة صدور الأوامر للاتصال بالجيش الكبير [١٨] فى القاهرة والإسكندرية.

ولم نتلق بعد أية معلومات عن تحركات الجيش الكبير الأخيرة فى مصر السفلى (الدلتا) منذ وصولنا إلى القصير. ولكن لدينا فعلا من الدلائل الأكيدة على أن الجيش الكبير قد ضرب الحصار على القاهرة العظمى[١٩] Grand Cairo فعلى هذا النحو كانت الأنباء المتداولة بين العرب الرحل فى الصحراء، وأن الفرنسيين سحبوا كل قواتهم من قنا ومن كل المراكز التى أقاموها فى صعيد مصر لدعم حامية القاهرة العظمى، ومن ثم فان جيشنا الصغير الآن قد اصبح قادرا على عبور الصحراء دون ما اعتراض من جانب العدو،

ولدينا كل الحق لأن نستولى على مراكزهم فى صعيد مصر، وقد حملت الكولونيل «مرى» مجموعة كبيرة من الرسائل لأخى العزيز شارلز ووعد أن يوصلها إليه فى أقرب فرصة ممكنة.

وحاليا، يقوم الجنرال بيرد بكل جهد ممكن لتزويد الجيش وإعداده لعبور الصحراء عندما يتسلم تقرير الكولونيل «مرى» عن الطريق المفتوح وإمكانية الحصول على المياه فى أى جزء منه، ويقال أن طول هذا الطريق المقترح عبر صحراء «طيبة» (٢٠) هو حوالى ١٤٠ ميلا إنجليزيا.

١٨ يونيو :

الخميس : انطلقت مبكرا جدا فى الصباح مع الجنرال بيرد فى الصحراء على الطريق إلى قنا حتى ينابيع المياه الملحة على بعد ٥ أميال من المعسكر، وهناك كانت تقوم مجموعة بحفر آبار لتزويد الدواب بالمياه خلال الأيام الأولى من الزحف. والمياه مالحة ولكن يمكن أن تسد حاجة الدواب إذ ما حفرت بأعماق كافية. ثم عدنا إلى المعسكر قبل وجبة الإفطار.

وقد أرسل الميجور هاريس (٢١) فى ظهر هذا اليوم إلى قنا كمساعد للكولونيل «مرى» فى اتخاذ التدابير اللازمة قبل عبور الصحراء.

وقد أرسل الجنرال بيرد إلى الجنرال هتشنسون **Hutchison** - قائد عام الجيش البريطانى فى مصر السفلى - بعض الرسائل بواسطة الميجور هاريس ليرسلها إليه من قنا، وبهذه المناسبة كتبت لأخى تشارلز بعض الرسائل.

وفى المساء تلقى (٢٢) بالبريد الهجان من الجنرال هتشنسون قائد عام الجيش فى الدلتا بكل شوق رسائل مؤرخة ٦ يونيو من المعسكر الإنجليزى على بعد حوالى ٣٠ ميلا من القاهرة الكبرى، وفى هذه الرسائل أشار الجنرال هتشنسون إلى انه يزمع مهاجمة القاهرة فى القريب العاجل. ووجه تعليماته إلى

الجنرال بيـرد بأن يلتقى بالجيش الهندى فى الحـال مسـتخدمـاً قدرات الحـملة. ولذلك قرر الجنرال بيـرد عبور الصـحراء فى الحال بكافـة القوات التى وصلت القصير. وإن لم تكن كثير من أدوات النقل قد وصلت بعد من الهند أو من رأس الرجاء الصالح مع أنها متوقعة فى هذه الساعة.

وقـبل زحف الجيش تحـددت أماكن أو مـواقع التـوقف التاليـة على طول الطريق من القصـير إلى قنا على نهـر النيل، وتقرر تقـسيم المسافـة إلى ٨ مراحل على النحو التالى:

المرحلة الأولى من القصير إلى الآبار الجديدة	١١ ميلا وبها مياه
المرحلة الثـانيـة من الآبـار الجـديدة إلى منتـصف الطريق إلى معلا [٢٣].	١٧ ميلا بلا مياه
المرحلة الثالثة من منتصف طريق المعلا إلى المعلا	١٧ ميلا بها مياه ومواد غذائية
المرحلة الرابعة من المعلا إلى الآبار المتقدمة	٩ ميلا بها مياه
المرحلة الخامـسة من الآبار المتـقدمة إلـى منتصف الطريق إلى الغيط [٢٤]	١٩ ميلا بلا مياه
المرحلة السادسة من منتصف ذلك الطريق إلى الغيط	١٩ ميلا بها ماء ومواد غذائية
المرحلة السابعة من الغيط إلى بير أمبو	١٨ ميلا بها مياه
المرحلة الثـامنة من بيـر امبـو[٢٥] إلـى قنـا علـى ضفاف النيل.	١٠ ميل إلى النيل
المسافة كلها	١٢٠ ميلا

ومع ما يقال هنا من أن المسافة ١٢٠ ميلا، فان المسافة الحقيقية المتوقعة لن تكون أقل من ١٤٠ ميلا.

١٩ يونيو :

الجمعة: في الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم أخذت تتحرك الريجيمنت [٢٦] ٨٨ الملكية وجزء من ريجيمنت وكتيبتان من السيبوى [٢٧] بمدافعها إلى قنا عبر الصحراء.

وفي هذا اليوم استبدلت حصاني العربي الذى أحضرته معى من بمباى بحصان مصرى من ضمن صفقة شرائية لإستخدامات الجيش. وهو صغير السن وحيوان جميل، وفي الصباح التالى ركبته لأجربه ويحازيني الميجور ولسون حتى الآبار في الصحراء. ولقد سررت منه كثيرا.

٢١ يونيو :

الأحد : في الساعة الخامسة بعد الظهر وتحت قيادة الليوتنانت كولونيل كاريل [٢٨] زحفت - إلى قنا عبر الصحراء - الفرقة الثانية من الجيش والتى كانت تتكون من الريجمنت ١٠ للمشاة الملكية، وكتيبة المشاة السيبوى الأولى.

٢٤ يونيو:

الأربعاء : في المساء أبحر الاميرال بلانكت بأسطوله الصغير إلى مخا دون أن يعطى أية إشارة عن نيته في المغادرة. مما حال دوننا - وبهذا العمل غير الحضارى - من الكتابة إلى أصدقائنا في الهند. وعلى أى حال فانه من المعروف تماما إن ذلك من لوازم هذا الأميرال العجوز الأحمق فضلا عن سماجته وفظاظته المعتادة إزاء أي شخص.

ولقد نسيت أن أذكر في المكان الصحيح أن كتيبة الليوتنانت كولونيل لويد [٢٩] التى كانت قد صحبت الأميرال بلانكت من بمباى إلى السويس ونزلت

هناك قد سمح لها الأميرال بان تزحف من السويس للإنضمام إلى الجيش التركى هناك للزحف نحو القاهرة للإلتحاق بالجيش الإنجليزى الكبير الذى كان هو أيضا يتقدم من جهة الإسكندرية إلى هذا الموقع (٣١).

(٣٠)

٢٦ يونيو :

الجمعة : فى المساء زحفت قوة المدفعية ومعها المدفعية المرابطة - تحت قيادة الكابتن فلمنج (٣٢) من سلاح مدفعية البنغال - عبر الصحراء إلى قنا ومعها المسئول عن إدارة شئون الدواب.

٢٧ يونيو :

السبت : أرسل الميجور ولسن - المترجم للفارسية (٣٣) لدى مركز القيادة العامة - فى مقدمة الزحف عبر الصحراء ، وأخذ معه قوة حماية ومعها ما يحتاجه مركز القيادة الذى ينوى الجنرال بيرد إنشاءه لنفسه - خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر - على نهر النيل.

وفى هذا اليوم وصل قارب المدفعية (٣٤) «واسبا» من الهند ومعه وحدة من فرق النقل فى ١٠ إبريل، ومع ذلك لم تصلنا بعد.

٢٨ يونيو :

الأحد : تحركت هذا المساء الكتيبة ٣٦ تحت قيادة الكابتن ميدلور (٣٥) عبر الصحراء إلى قنا.

٣٠ يونيو :

الثلاثاء : مع فجر هذا اليوم تحرك - إلى قنا على النيل - الجنرال بيرد ومعه الكولونيل أوشمونى (٣٦) برتبة ادجوانت جنرال، والكاتبن مول (٣٧) سكرتيرا، وليوتنانت بادجن (٣٨) والبريجادير ميجور تكر (٣٩) وحينذاك تركونى والميجور فالكونر (٤٠) (وهو حاليا نائب رئيس الأركان للقائد العام للجيش) فى القصير

لدعم ومساعدة الضابط الأعلى رتبة اللوتنانت مونتريزور (٤١) لقيادة فرق الجيش المتبقية والجماعات المتفرقة عقب وصولها من الهند فى عبور الصحراء.

وقد أعددت مع الكابتن فولكنر بأنفسنا مكانا لتناول الطعام حتى يحين وقت اللحاق بمركز القيادة العامة الأمر الذى نعتقد أن إنجازه سيكون فى القريب العاجل.

وقد وصلت سفينة النقل كورنواليس من البنغال هذا المساء، ومعها كتيبة من فرسان المدفعية بقيادة الكابتن براون (٤٢).

١ يوليو :

الأربعاء : تناولت الغذاء على ظهر السفينة الملكية كورنواليس مع صديقى الكابتن هاردى (٤٣)، ومعه الكومودور سير هوم بوفام (٤٤) ومدعوين كثيرين لتناول طعام الغذاء معه قبل أن تبحر القطع الحربية وسفن النقل من القصير إلى جدة وإلى الهند، إذ أنها لا تستطيع أن تبقى خلال فترة هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، وفضلا عن ذلك، فان الذى يطلق عليه مرفأ القصير لا يعدو أن يكون خليجا ضيقا لا يستوعب سوى عدد قليل من السفن ذات حمولات صغيرة.

أبحرت إلى جدة السفينة الحربية رومنى (٤٥) بقيادة سير هوم بوفام، وكانت تصحبها البارجة المسلحة ويلر (٤٦) وكذلك سفينة النقل وارن هستنجز (٤٧) وسافر خلالها صديقى س.س. مكينتوش (٤٨) - قائد سفينة النقل سارة (٤٩) التابعة لبمباى - على السفينة رومنى كمسافر عادى، تاركا سفينته لتأتى فى أعقابه.

وعلى أى حال، فقد صدرت التعليمات إلى هذه السفينة بالعودة إلى القصير أو إلى السويس عند زوال الرياح الموسمية، لنقل الجيش عائدا إلى الهند

فى حالة إذا ما انتهت المسألة فى مصر (٥٠) فى حوالى ذلك الوقت.

وقد أرسلت بواسطة السفينة رومني بعدة رسائل إلى حاكم عام الهند ذنكان (٥١)، وإلى بعض الأصدقاء فى الهند، وكذلك إلى صديقى الكابتن هارديمان (٥٢).

٣ يوليو:

الجمعة: بعثت بالكاتب المنوط بسير جنت براون (٥٣) لينضم إلى الكولونيل أوشموتى (٥٤) الذى كان قد ألح فى طلبه.

٤ يوليو:

السبت: عاد الميجور ويلسون - من المعلا فى الصحراء - هذا الصباح، وكلنا فى دهشة بسبب اختلافه مع الجنرال بيرد الذى أمره بالعودة إلى بمباى.

٦ يوليو:

الأثنين: وصلت إلى القصير الطراد البرت (٥٥) بقيادة الكولونيل بيتى (٥٦) ومعه رسائل إلى الجنرال بلانكت (٥٧) من المعسكر الهمايونى العثمانى أمام القاهرة مؤرخة ٣٠ يونيو، معلنة الخبر الأكثر أهمية والمثير بالاستيلاء على القاهرة الكبرى وبالاستسلام (٥٨) فى ٢٨ يونيو للجيوش الإنجليزية العثمانية المشتركة وستنقل على الفور الحامية الفرنسية إلى فرنسا.

إنها لمجموعة من الأنباء رائعة، والأمل فى أن يتلوها على الفور سقوط الإسكندرية. وفى هذه الحالة الأخيرة يكون من المتوقع أن تصدر الأوامر إلى جيش الجنرال بيرد بالعودة إلى الهند.

٧ يوليو:

الثلاثاء: (الجزء الأول من يومية «مكارى» فى هذا اليوم تركز على طلبه من الجنرال بيرد أن يسمح له بزيارة أخيه شارلز فى جيش الجنرال هتشنسون قبل

أية عودة إلى الهند وحينذاك أصبح على بينة من أن أخاه تشارلز ربما يكون على قيد الحياة).

وبعد ظهر اليوم وصلت من رأس الرجاء الصالح ناقلة الجنود شرنيس [٥٩] بقيادة الكابتن كاردن [٦٠] وعليها أربع جماعات من الريجيمنت ٨٨ بقيادة ليوتنانت كولونيل كاروثر [٦١] الضابط الأعلى لهذه القوة.

٨ يوليو :

الأربعاء : فى هذا الصباح اصطحبت إلى الإفطار الليوتنانت كولونيل «مونتريزور» ومعه الكابتن «سور» [٦٢] قائد سفينة النقل الملكية لاسنسيبل [٦٣] والكابتن سور حاليا الضابط الأقدم فى القصير. وقد كان لدى ولدى الكولونيل مونتريزور عدة نقاط متفق عليها بشأن النقل لترتيبها معه. وفى الأربعاء تناولت الغداء على ظهر السفية الملكية كورنواليس مع كابتن هاردى برفقة الميجور ويلسون، وعدد آخر كبير من الأصدقاء.

٩ يوليو :

الخميس : وصلت من جدة هذا اليوم السفينة لويجى فاميلى [٦٤] وعلى ظهرها إدارة مفتشى المخازن من مدراس [٦٥] برئاسة الكابتن سكوت [٦٦]، وكانت قد التحقت بالسفينة روكنجهام اندياماان [٦٧] بمدفعية مدراس، ولكن نظرا لما أصاب هذه السفينة من أضرار وهى عبر البحر الأحمر إلى جدة فى طريقها إلى الهند، فقد نقلت [٦٨] إلى السفينتين لويجى فاميلى وشلكاى كوسيرو [٦٩] فى عودتهما من هنا [٧٠] إلى جدة للحصول على الماشية من أجل تموين الجيش.

١٠ يوليو :

الجمعة : وصلت من الهند هذا اليوم سفينة النقل مراد باكس [٧١] وعليها

كتيبة من الريجمنت ٨٠ بقيادة الكولونيل رمزى [٧٢] الكولونيل الثانى لتلك القوة.

١١ يوليو :

السبت : وصلت بعد الظهر من البنغال سفينة النقل سيبرب [٧٣] وعليها البقية الباقية من خيالة المدفعية.

١٢ يوليو

الأحد : وصلت سفينة النقل شاكاى كوسيرو بعد الظهر من جدة وعليها مدفعية مدراس بقيادة الميجور بل [٧٤] وقوة بيونير مدراس [٧٥] بقيادة الكابتن فيتزباتريك [٧٦].

١٣ يوليو :

الأثنين : وصلت من رأس الرجاء الصالح صباح اليوم سفينة صاحبة الجلالة لنقل الجنود ولهلمينا [٧٧] تحت قيادة الكابتن لند [٧٨]، وكان عليها المتبقى من الريجمنت ١٦ تحت قيادة الليوتنانت كولونيل بارلو [٧٩].

١٧ يوليو :

الجمعة : فى الساعة السابعة صباحا وصل البريد الهجان من معسكر قنا - على النيل - حاملا رسائل من الجنرال بيرد إلى الكولونيل متريزور تتضمن أوامره بأن تتحرك الفرق الباقية من الجيش الهندى مع كافة الحملة عبر الصحراء. وقد اصدر الجنرال هتشنسون أوامره إلى الجنرال بيرد بان يلحق به فى مصر السفلى بأسرع وقت ممكن، وتبعا لذلك فهو يقوم حاليا بالترتيبات اللازمة لهذا الغرض بأن يجمع القوارب عند قنا لنقل القوات منها ليهبط النيل إلى القاهرة الكبرى، وأصبحنا كلنا فى غبطة عارمة إذ وجدنا أنفسنا حينذاك على يقين من رؤية أصدقائنا فى الجيش الكبير فى القريب العاجل.

(وفى البريد الهجان تلقى مكارى خطابا من أخيه شارلز واصفا له جرحا فى رأسه أصيب به أمام الإسكندرية وبعث له كذلك ببعض أخبار أسرته. وتلقى كذلك نبأ ترقيته إلى رتبة ميجور للريجمنت ٨٦، فضلا عن مراسلات خاصة أخرى معظمها لخصها فى يومياته) ووصلت من الهند هذا اليوم سفينة النقل دنداس [٨٠] وعلى متنها كتيبة من الريجمنت ٨٠ بقيادة الكابتن سميث.

٢٠ يوليو :

الأثنين : زحفت إلى نهر النيل هذا المساء بقية الجماعات الست من الريجيمنت ٦١ بقيادة ليوتنانت كولونيل كروثر.

٢١ يوليو :

الثلاثاء : زحفت إلى النيل هذا المساء خيالة مدفعية البنجال بقيادة الكابتن براون، وكتيبة من الريجمينت ٨٨ بقيادة بومفورد [٨١]. وأبحرت إلى الهند هذا المساء سفينة الشحن كورنواليس بقيادة الكابتن ماكاسكيل [٨٢]، وسافر على هذه السفينة الميجور ولسن وبواسطته كاتبت الحاكم دنداس وأصدقاء آخرين.

٢٣ يوليو :

الخميس: وزحفت إلى نهر النيل بعد الظهر الفرقة الثامنة من الجيش متضمنة كتيبة من الريجيمنت ٨٠، ومدفعية مدراس تحت قيادة الميجور «بل» وطلائع مدراس بقيادة الكابتن فيتزباتريك كلها تحت قيادة الكولونيل رامزى.

وأبحرت إلى بمباى سفينة الشركة الموقرة «ماركيز كورنواليس» بقيادة الكابتن هاردى ومعها السفينة ساراه وسفن عديدة أخرى وبهذه المناسبة كتبت مرة أخرى إلى الحاكم دنكان ولآخرين عديدين.

٢٤ يوليو :

الجمعة : وصلت من رأس الرجاء الصالح سفينة الخزين والنقل سى نيمف

[٨٣] وعلى متنها كتيبة من المدفعية الملكية بقيادة الكابتن بيفر [٨٤] وكذلك الكابتن الفنستون [٨٥] من المهندسين الملكيين [٨٦].

٢٥ يوليو :

السبت : زحفت فى السادسة من هذا المساء إلى النيل الفرقة التاسعة من الجيش متضمنة قوات الدراجون [٨٧] الثامنة الخفيفة بقيادة هاوكنز [٨٨]، وبتاليون البنغال [٨٩] من متطوعى السيبوى بقيادة الكابتن ميتشى [٩٠]، وأخذت معها تحت حمايتها الخزانة العامة وهدايا لبكوات وأعيان مصر، ورحل الصرافان السيدان ريدر [٩١] وهوايت [٩٢] مع إدارة الصرف تحت حماية هذه الفرقة من الجيش، وكل هذا تحت قيادة الكابتن ميتشى على اعتبار انه الضابط الأعلى لها.

٢٦ يوليو :

الأحد : الآن وقد تم تنفيذ المتطلبات حسبما أمر به الجنرال بيرد لليوتنانت كولونيل مونتريزور وأنا بالذات وهى إرسال القوات والخزين عبر الصحراء إلى النيل، فقد تلقينا موافقته لنا باللحاق به فى الحال فى قنا، تاركين البتاليون من سباهيه بمباى بقيادة الكابتن لويلين [٩٣] كحامية للقصير حتى تصل بقية فرق الجيش من الهند - ومن ثم فنحن حاليا نقوم بالاستعدادات والترتيبات اللازمة لنشرع فى الزحف عبر الصحراء فى صباح الغد.

وكتبت رسائل إلى الحاكم دنكان ولأصدقائى الآخرين فى الهند. وأرسلتهم إلى الكابتن سور قائد سفينة صاحب الجلالة لاسنسيل ليوصلها فى أول فرصة سانحة. وبعثت متعلقاتى الثقيلة المتضخمة على ظهر السفينة وليام، وأسندت إلى الكابتن ريدوك قائد تلك السفينة مسئولية سلامة ساعتى الذهبية الثمينة المهداة فى يوم عقد قرانى من زوجتى الحبيبة الملائكية ومن ثم فهى ذات قيمة عليا لى. وقد تعرضت أخيرا لحادثة أوقفتها فاضطررت إلى شراء ساعة ذهبية أخرى من الكابتن كيد [٩٤] قائد السفينة لويجى فاميلى كلفتنى ٨٥ دولارا.

وفى مساء هذا اليوم أرسلت خادمى الأوروبى الأمين وليام ستيوارت محملا إياه مسئولية كل خدمى الآخرين وحاجياتى عبر الصحراء فى الفترة التى تسبق رحيلى.

٢٧ يوليو:

الأثنين : تناول الكولونيل مونتريزور وبريجاديره الميجور ليوتنانت هوايت وأنا الإفطار فى وقت مبكر جدا مع الكابتن سكوت مسئول المخازن، وبعد ذلك انطلقنا فى الحال فى الساعة الخامسة صباحا للإنضمام إلى زحف الجيش إلى قنا تاركين الميجور فالكونر ونائب أركان القائد العام، والكابتن سكوت مسئول مخازن الشركة فى القصير، ليرسل ما تبقى من المؤن والخزين إلى الجيش عبر الصحراء تحت قيادة أخر فرقة فى مؤخرة الجيش.

وصلنا فى الساعة السابعة إلى المرحلة الأولى لمسافة ١١ ميلا عند الآبار الجديدة. وهنا ركبنا خيولنا الخاصة، وكنت قد استعرت واحدا من القصير إلى هذا الموقع الذى عدنا إليه لنتابع رحلتنا عبر الصحراء، وكان الجو حارا وممسكا.

وفى الساعة العاشرة والنصف وصلنا إلى منتصف الطريق من الآبار الجديدة و «معلا» (٩٥) وبها عسكرت كتيبة الكابتن ميتشى (٩٦) ، واستخرجنا خيامنا فور مجئ حاجياتنا وضربناها فى نفس المكان، عازمين على أن نمضى فيها فترة حرارة نهار اليوم، التى أصبحت درجتها لا تحتمل، وحتى تضرب خيامنا، احتمينا بخيمة الكابتن ميتشى الذى قدم لنا إفطارا ثانيا كان طيبا وقدم لنا منعشات بعد ركوبنا الطويل فى الحر.

وفى الرابعة تناولنا الغذاء فى خيامنا وفى السادسة مساء غادرت كتيبة الكابتن ميتشى إلى «معلا» وأرسلنا فى السابعة حاجياتنا إلى هذه المرحلة، وتبعناها بعد ذلك بنصف ساعة. وكان الليل لطيفا جدا، وكان مقمرا، ولكنه كان حارا جدا وممسكا، ويودى إلى أشد أنواع العطش.

ووصلنا إلى معلا فى الثانية عشرة ليلا بعد رحلة يوم مرهقة لمسافة ٤٥ ميلا من القصير.

ولم تصلنا بعد خيامنا، وجلسنا على الرمـال فوق معاطفنا حتى وصلنا فى الساعة الثالثة من اليوم التالى، وفى نفس الوقت وصلت كتيبة الكابتن ميتشى إلى نفس الموضع الذى أدهشنا دهشـة كبيـرة لأننا وجدنا عين ماء قـراح رائعة، والتى من أجل حمايتـها عسكرت حاميـة سوبالترن (٩٧) واستـقرت عندها حتى تعـبر كافـة القوات الصـحراء ولتمنع العـربان البدو الرحل المتـوحشين من أن يسـقوا حيواناتهم وقطعانهم من هذا الينبوع ذى القيمة العالية.

٢٨ يوليو :

الثلاثـاء : مكثنا فى المعلا خـلال حرارة النهـار حتى المساء. والمعـلا مكان موحش جدا ولكن رومـانسى، وهو عبارة عن وادى صغـير ضيق محـاط بجبال عاليـة رخاميـة جرداء تمامـا وليس بها أدنى مظهر لـلخضرة أو شئ أخـضر. ولا تتراءى أية حـشائش تافهة أو شـجرة أو حتى نصل ورقـة حشيشـة. والحرارة هنا طوال النهار كانت غـاية فى الشدة ولا يمكن تحملها، وقد توقف ترمـومتر الحرارة فى داخل خـيمـتى عند درجة ١١٦° فـهرنيـت ، ولكن فى خيـام الجند تصل إلى إرتفاع ١١٨° فهرنهيت وفى الخارج تحت الشمس تصل إلى ١٢٠°.

وفى الساعة السادسـة بعد الظهر أرسلنا خدمنا وأمتعـتنا إلى المرحلة التالية عند الآبار المتقـدمة (الجديدة) الواقعـة على بعد ٩ أميال من المعـلا، وتبعناهم من بعدهم بساعة. وهذا اليوم بدا كيوم للتوقف، وقد بقيت كتيبة الكابتن ميتشى هذه الليلة للراحة فى المعلا لإنعاش الرجال والدواب.

وفى التاسـعة بعد الظهـر وصلنا إلى الآبار المتقـدمة (الجديدة) وبهـا ينبوع جيـد جدا لماء قراح وكـان لديها ضـابط حاميـة معسكر لتـأمينه. وقـد اصطحبنا خيامنا معنا، فثبتنا فى الحال فى الأرض لليلة.

٢٩ يوليو :

الأربعاء : عانينا حرارة النهار عند الآبار المتـقدمة (الجديدة)، والمكان - مثل المعلا - مـوحش جدا وإن كان رومـانسيـا، محاطا كله تقـريبا بجبـال عاليـة جدا شاهقة رأسية ذات صخور جرداء، وبعض هذه الجبـال عبارة عن كتل مدهشة من الرخام الأخضر الرقيق.

فى الساعة السابعة بعد الظهر تحركنا مع خدمنا وأمتعتنا من «الأبار المتقدمة» (الجديدة) وسرنا طوال الليل المقمر حتى الواحدة صباحا عندما توقفنا بعد ركوب لمسافة ٣١ مـيلا. ولم تصلنا أمتعـتنا حتى الساعة الثـالثة وأثناء ذلك الوقت تمددنا بمعاطفنا على الرمال. وفور وصول الخيم ضربناها على الفور، واستطعت بصعوبة جدا أن أنام لمدة ساعتين قبل شروق الشمس.

٣٠ يوليو :

الخـميس : لقـد أقمنا تحت حـرارة النهـار، وكانت تضـايقنا هبات الرمـال والحرارة الفظيعة حتى بلغت حد كتم النفس.

وفى الساعة السـابعة بعد الظهر تابعنا مـسيرة رحلتنا عبر الصـحراء، وقبل ذلك كنا قد تناولنا الغذاء وأرسلنا أمامنا خدمنا بامتعتنا، وقد كان لنا ركوبا مبهجا هذه الليلة وكان الجو أكثر برودة عما هو معتاد وكانت لنا ليلة مقمرة جميلة.

وقد بلغنا الغيطة (٩٨) حوالى الساعة الثانية عشرة بعد ركوب لمسافة ١٩ - ٢٠ ميلا. ولم تكن خيـامنا قد وصلت بعد، فلجأ إلى إحدى خـيام كابتن ماهونى Mahony (٩٩) قائـد هذا الموقع فى الصحـراء وهو عبـارة عن مخـزن للتمـوين والمياه كان قد أقيم هنا من أجل القوات التى تتوقف تبعا لذلك طيلة اليوم.

٣١ يوليو :

الجمعة : وصلتنا أمتعتنا في الساعة الثالثة صباحا، وضربنا خيامنا في الحال عازمين على البقاء هنا حتى برودة المساء.

وفي (الغيطة) توجد بئر ممتازة مياهها، والموقع هنا له مظهر أقل وحشة وإلى حد ما أكثر انفتاحا إلى سهل في تلك الأجزاء من الصحراء التي قطعناها حتى ذلك الوقت.

وعلى طول طريقنا إلى هذا الموقع، أو في أغلب اجزاء الطريق من القصير، كانت تحيط به حافات رملية مرتفعة أو جبال من صخر صلب على الجانبين.

تناولنا إفطارا مبكر في الغيطه [١٠٠]، وأرسلنا خدمنا وأمتعتنا إلى بئر امبو في الساعة الرابعة وتبعناهم بأنفسنا في الساعة السادسة. وكان لنا ركوب أكثر إرهاقا ومشقة إلى «بئر امبو» التي لم نبلغها إلا في الساعة الواحدة من اليوم التالي. والمسافة من الغيطة إلى بئر امبو على ما يقال ١٨ ميلا. ولكن من الوقت الذي بدأنا فيه الركوب - سبعة ساعات -فانه لا يمكن أن تقل عن ٢٤ ميلا. والطريق - على أي حال - سيئ للغاية على طول هذه المرحلة. وكانت الرمال عميقة وثقيلة في غالبيتها، والباقي جاف صخري.

ولم تصل بعد أمتعتنا، فطرحنا في معسكرنا معطافنا في مكان مخصص للقوافل بالقرب من قرية بئر امبو ولكن وصلتنا أمتعتنا وخدمنا بعد ذلك، ولذلك عزمنا على أن نشرع في متابعة رحلتنا في الصباح التالي، وكنا نعتقد أنها كانت لا تساوي أن نضرب خيامنا هنا، خاصة وأن خدمنا كانوا متعبين للغاية، ويحتاجون إلى الراحة في أقرب وقت.

أول أغسطس:

السبت : مع طلعة النهار هذا الصباح كنا قد أندهشنا فرحين من تغير المنظر

الذى أمامنا الآن وحولنا بالمقارنة بالصحراء المقبضة الموحشة الجافة التى كنا نجتازها لعدة أيام مضت. فبعد مدة طويلة إذا بنا فى بلاد زراعية وكل شئ هنا أخضر وجميل. وهناك تقع مدينة (بير امبو) - بسكان ذوى أناقة - وقد أطلق أسمها على الحى. ومنازلها من طين، ولكن مبنية بأناقة ومطلية باللون الأبيض، ويوجد كل ما يوحى بوجود صناعة ذات وفرة.

وفى منتصف الخامسة من هذا الصباح، تحرك الكولونيل مونتريزور والبريجادير ميجور هوايت وأنا من بئر امبو. مع خدمنا ومع أمتعتنا إلى قنا (١٠١)، على الضفة اليمنى لنهر النيل، فوصلنا الساعة الثامنة والنصف إلى قنا (١٠٢) التى هى بالنسبة لنا بمثابة المنظر الأكثر استحساناً من أى مما رأيناه لمدة طويلة جدا. وكانت المسافة من بير امبو إلى قنا يقال أنها ١٠ أميال فقط، ولكنها لابد وأن تكون ١٤ ميلا، بقياس الوقت الذى استغرقناه فى الركوب إليها، والمنطقة مزروعة جيدا من بير امبو إلى النيل، والطريق جيدة مسيرته.

وعند وصولنا إلى قنا وجدنا الكولونيل مرى قائدا لها، وأمس أبحر ظهرا الجنرال بيرد. وهيئته كانت قد غادت من هنا إلى القاهرة العظمى. تاركا توجيهاته لنا بان نلحق به فورا، وقبل مغادرة الجنرال بيرد بأيام قليلة أبحرت بالقوارب فى النيل الريجيمنت ١٠ , ٨٠ , ٨٦ , ٨٨ ومدفعية البنجال وبمباى، وترك الكولونيل مرى هنا ليرسل بقية القوات فور توفر العدد الكافى من القوارب ليتحقق الغرض.

صدرت الأوامر للريجيمنت ٦١ ومدفعية «مدراس» وخيالة مدفعية «البنجال» للنزول إلى القوارب، وسيبحرون عقب وصول «الخزينة» التى سترسل على مسئولية هذه الفرقة. ومن حسن الحظ كان هناك فعلا عدد كاف من القوارب المتجمعة هنا لنقل القوات هبوطا فى النيل إلى القاهرة.

وعلى أى حال، سيضطر المرافقون - العام والخاص منهم - للجيش مع

قطعان ماشيتهم - على أى حال - إلى أن يتابعوا المسيرة عن طريق البر من هنا لمسافة تبلغ حوالى ٥٠٠ ميلا. ولقد كان البكوات والمماليك ودودين ومصادقين لقواتنا منذ وصولها هنا. وكانوا مفيدين على الخصوص فى الحصول على القوارب وعلى تموينات لنا من البلاد حول قنا الواقعة تحت سيطرتهم.

وقد أمكن بواسطة المماليك الحصول على القوارب وتجميعها مما هو وراء قنا وحتى الكاتاركت (الجنادل) صعودا فى النيل إلى مسافة ٤٠ ميلا من قنا.

وكثرة من هذه القوارب أمكن الحصول عليها من المدينة القديمة المشهورة طيبة (١٠٣) ذات الأبواب المائة التى تقع على بعد ٣٠ ميلا صعودا فى النهر. وعلى أى حال، أرسلت - صعودا فى النهر - كتائب صغيرة بقيادة ضابط من قواتنا جنبا إلى جنب مع المماليك لمساعدتهم فى هذه المهمة. واحتشدنا فورا عند وصولنا إلى قنا، وتجمع الكولونيل مونتتريزور والبريجيد ماجور هواريت وأنا وخدامنا وأمتعتنا لدى مركز قيادة الكولونيل مارى الذى كان منزلا بارحا متسعا، واتخذنا مراكز قيادتنا هناك بعد تناول وجبة إفطار كريمة طيبة مع الكولونيل «مرى» وخرجنا لمشاهدة مدينة قنا المشيدة على الجانب الأيمن من نهر النيل المشهور. وقنا مدينة على نوع من الإتساع ذات شوارع ضيقة جدا، ومنازل ارتفاعها أربعة طوابق بأسطح مكشوفة واغلبها بحجارة تحتمل عمارتها الجيد.

وعرض نهر النيل عند قنا حوالى ربع ميل، وجسوره مرتفعة جدا وتنحدر بشدة إلى المستوى الضحل فى الوقت الحاضر.

وفى مواجهة قنا على الضفة اليسرى للنيل تقع تنتيرة أو دندرة (١٠٤) الفرعونية المشهورة شهرة واسعة، ولكن «معبد إيزيس» (١٠٥)هو الأكثر شهره، ودندرة مدينة لا تزال آثارها واضحة، وقام بزيارتها كل السياح.

وقد قدم لنا اليوم الكولونيل مارى أشهى وليمة غذاء بعد أن شاهدنا كل فى قنا من تحف، وبعد أن أتحفنا بكمية وافرة من الأعناب القناوية الرائعة الممتازة

جدا، وفى المساء دعانا إلى حفل راقص كبير [١٠٦] تضمن أكثر الراقصات مهارة ما فى قنا اللاتى جمعن لهذا الغرض. وقد رقصت بعضهن رقصاً جيداً جدا، إلا أن حركاتهن عموما كانت مثيرة للإشمئزاز لأنها مثيرة للغرائز [١٠٧].

٢ أغسطس

الأحد : كنت أنا والكولونيل متريزور نستعد لمغادرة قنا خلال هذا اليوم، وقد جهز لنا الكولونيل قاربا جيدا جدا من أجل راحتنا، ولكن نظرا لأنه كان من اللازم أن يقوم بنقل القوات، فقد تأجل رحيلنا حتى الغد. وقاربنا عبارة عن قنجة كبيرة وسيشحن عليه نصف خيالة مدفعية البنجال والضابط القائد لها كابتن براون. وقد أرسلت أنا والكولونيل متريزور خيولنا فى قارب صيد صغير مخصص لها حتى لا تصيبها الخيول الأخرى بالأذى. وقد كتبت رسائل فى هذا اليوم إلى الحاكم دنكان ولغيره من الأصدقاء فى بمباى لترسل عن طريق القصير.

٣ أغسطس :

الأثنين : أبحرت خيالة مدفعية البنجال بقيادة الكابتن براون فى الساعة الثامنة صباحا والآن أصبحت «قنجتنا» مستعدة. وفى الساعة العاشرة وبعد تناول الإفطار مع الكولونيل «مرى» نزلنا إليها أنا والكولونيل متريزور ومعنا خدمنا أمتعتنا.

وقد اصطحبنا أحد أغوات [١٠٨] المماليك لكى يزودنا مجانا بتموين للقوات عند القرى والمدن على طول جسور النيل وعلى طرل الطريق إلى القاهرة. وفى الساعة الحادية عشرة بدأنا رحلتنا فى نهر النيل المشهور، ولم يكن هناك أى ريح ولو بالكاد. حتى لقد كانت أشرعتنا ذات فائدة ضئيلة أو بلا فائدة إلا أن تيار الماء كان قويا حتى انطلقت قنجتنا هابطة النهر بمعدل ٣ أميال فى الساعة.

وكان المناخ حارا جدا ممسكا وكـان تنفس الهواء بالكاد طوال اليوم، إلا أن المنظر العام وما هو على مدى البصر على طول جـسور النيل كان رائعاً وجميلاً، فعوضنا إلى درجة كبيرة عما عانيناه من الحر.

٤ أغسطس :

الثلاثاء : مع بزوغ فجـر هذا الصباح توقفنا للحصـول على التموينات من القرية باجـورة بالقرب من مـدينة فرشوط، وقـد مكثنا هنا حتى الظهـر ثم تابعنا رحلتنا.

٥ أغسطس

الأربعاء : رسينا فى الساعة الخامسة صباحا عند مدينة كبيرة تدعى ممشيت للحصول على التـموينات وهى هنا رخيصة بشكل غيـر عادى وغاية فى الوفرة فقد اشترى خـدمنا أوزة كبيرة وسمينة بدولار أسبـانى واحد بينما هى بحوالى ٤ بنسات من النقد الإنجليزى للأوزة الواحدة. واشتروا كذلك ١٢٠٠ بيضة بدولار واحد. وقـد مكثنا هنا حتى الواحدة لنعطى وقـتا للقوات لإعـداد الطعام وتناول غذائهم على الـشاطئ، ثم لنواصل رحلتنا هابطين النيل مع نسـيم خفـيف رقيق مناسب، كان يدفعنا قدماً برشاقة بمعدل خمسة أميال فى الساعة.

٦ أغسطس

الخميس: رسينا عند قرية ريانة [١٠٩] عند الساعة السادسة صباحا، وغادرنا مرة أخرى ظهرا فور تناول الرجال غذاءهم.

٧ أغسطس

الجمعة: رسينا فى الساعة السادسة صـباحا عند مدينة أسيوط الكبيرة وهى واحدة من أكبر المدن الرئيسية الغنية فى مـصر العليا. وكان للفرنسيين مركز دائم فيـها وشيدوا قلـعة مناسبة أنيـقة على ضفـة النهر ملاصـقة للمدينة لمقـاومة من

يقترب منها. وغادرنا أسيوط فى الواحدة بعد الظهر وتابعنا رحلتنا.

٨ أغسطس

السبت: توقفنا عند قـرية رحمون [١١٠] بالقرب من مـدينة ملوى ثم تابعنا الرحلة بعد أن تناول الرجال غذاءهم.

٩ أغسطس

الأحد: رسينا فى الساعة الثانية بعد الظهر عند قرية جالوصة [١١١] القريبة من سـمالوط للحـصول على التـموينات، وتابعنا رحلتنـا مرة أخرى فـور تناول الرجال غذاءهم حوالى الساعة الخامسة.

١٠ أغسطس

الأثنين: توقفنا فى الساعة الثانية بعد الظهر عند قرية تدعى حلبى [١١٢] ثم رحلنا مرة أخـرى فى الخامسة بعـد الظهر. وحيث أنه لم يكن هناك مكان مـتسع على ظهر القنجـة، فانهم كانوا مضطرين كل يوم لإعـداده على الشاطئ وتناوله، ومن بعده رحلنا على الفور.

١١ أغسطس

الثلاثاء: رسينا ظهرا عن قرية تدعى زوير (الزاوية) [١١٣]، ومن هنا يمكن بوضوح رؤية أهرامات مصـر الشهيرة القريبة من الجيـزة، والأخرى الأصغر عند صقارة، وأقربـها بالتأكيد على بعد ٤٠ مـيلا على الأقل من زوير (الزاوية). وقد تناول الرجال غـذاءهم وغادرنا هذا المكان فى السـاعة الخامـسة مسـاء مع نسيم لطيف.

١٢ أغسطس

الأربعاء: رسونا ظهرا عند قريـة تدعى الشيخ عتمان [١١٤] على الجـانب الأيسر للنيل، ومن هذا الموقع كانت لنا أول رؤية للقاهرة الكبرى على مسافة ١٨

ميلا تقريبا، وأن نشاهد بوضوح جدا أهرامات الجيزة العظيمة.

بعد الإستعداد وتناول الرجال غذاءهم على الشاطئ تابعنا فى الساعة الثالثة إبحارنا هابطين النيل مرة أخرى، بريح مناسبة لطيفة تدفعنا بمعدل ٦ أميال فى الساعة وكان المنظر المحيط غاية فى البهجة.

وفى الثامنة مساء رسينا أمام المدينة القديمة القاهرة العظمى عاصمة مصر فى مجرى الخليج الذى يشق المدينة داخلها وبين جزيرة الروضة الواقعة فى وسط النيل بين القاهرة الكبرى ومدينة الجيزة على الشاطئ المقابل من نهر النيل. وتقع مدينة القاهرة على الجانب الشرقى - أى الأيسر - للنيل، وتقع الجيزة على الجانب الغربى - أي الأيمن.

لقد وصلت الفرق من الجيش الهندى هنا فعلا وعسكرت فى جزيرة الروضة، ووجدنا الجنرال بيرد قد ضرب مركز قيادته هناك مباشرة فى مواجهة القاهرة على ضفة الخليج الذى رست عنده قنجتنا.

وقد نزلنا أنا والكولونيل متريزور فورا إلى الروضة وانطلقنا إلى مركز القيادة انتظارا للجنرال بيرد الذى وجدناه جالسا يتناول الغذاء مع صحبة كبيرة، من بينهم الكولونيل ستيورات الليوتنانت كولونيل لورد بلانى (١١٥) للريجيمنت ٨٩ المعسكرة عند الجيزة.

لقد كان الجنرال مسرورا لرؤيتنا مرة أخرى وحبانا بترحيب حميم للغاية ورقيق من القلب، وهنأني بأرق المشاعر -على نحو ما فعله كل أصدقائى فى هيئة قيادته - على تعيينى حديثا للميجورية - وبان يكون تنفيذها فى الوطن فى الريجيمنت ٨٦ - وكانوا قد تلقوا هذا النبأ من الليوتنانت كولونيل لويد من تلك الريجيمنت وهو بقوته يشكل حاليا جزءا من جيش الجنرال بيرد.

وفى الخامس من يوليو غادر القاهرة الجيش البريطانى الكبير متوليا

مسئولية الجيش الفرنسى الذى استسلم فى القاهرة ليراقبه حتى وهو يبحر من رشيد على ظهر السفن التى ستنقله إلى فرنسا طبقا لمواد الاستسلام.

وقد استولى الجيش الهمايونى العثمانى أو الجيش التركى - تحت قيادة الصدر الأعظم شخصيا - على القاهرة الكبرى. وحاليا يقوم بحمايتها عسكريا، وكانت الريجيمنت ٨٩ بقيادة الكولونيل ستيوارت قد تركت كحامية للجيزة حتى يصل الجيش الهندى إلى هنا. ،لا تزال مدينة وقلعة الإسكندرية صامدة، وكانت حاليا تحت حصار محكم برا بالجيش كله، وكذلك بحصار بحرى محكم بواسطة الأساطيل الإنجليزية والتركية المشتركة. وبالرغم من ذلك، أعلن الجنرال الفرنسى عبدالله مينو انه سيصمد إلى أقصى مدى.

بعد أن تلقينا تلك الأنباء، وبعد أن أمضينا مع الجنرال بيرد ومع أصدقائنا الآخرين حتى الساعة الحادية عشرة عدت أنا والكولونيل مونتريزور إلى قنجتنا لنقضى الليلة فيها مرة أخرى إلى أن اصبح الوقت متأخرا جدا عندما وصلنا لننزل إلى البر أمتعتنا عند الروضة. والمسافة من قنا إلى الروضة بقوة دفع الريح فى نهر النيل - والتى قطعناها فى أكثر قليلا من تسعة أيام - قد قدرناها بحوالى ٦٠٠ ميلا (١٦٦).

١٣ أغسطس

الخميس: فى الصباح الباكر نزلت أنا والكولونيل منتريزور وخدمنا وأمتعتنا وخيولنا إلى بر الروضة، وضربنا خيامنا على مرمى البصر من مركز قيادة الجنرال بيرد (وفى نفس اليوم كتب ماكارى رسالة لأخيه فى الإسكندرية مفاخرا بالثلاثة آلاف ميل الى قطعها وقام بزيارة لليتنانت كولونيل لويد والكولونيل بيرسفورد وأصدقاء آخرين له فى المعسكر).

١٤ أغسطس

الجمعة : لم يحدث ما يستحق الذكر.

١٥ أغسطس

السبت: مرة أخرى كتبت هذا الصباح إلى أخى شارلز رسالة عاجلة لترسل إلى الإسكندرية بواسطة الجنرال بيرد إلى الجنرال هتشنسون.

فى الساعة الرابعة مساء رافقت الجنرال بيرد مع بقية هيئته ومع العديد من ضباط اركان الحرب لجيشه للقيام بزيارة رسمية لصاحب السعادة الصدر الأعظم فى مدينة القاهرة العظمى. وقد عبرنا من الروضة إلى المدينة بالقوارب لتقابلنا خيولنا بالقرب من البوابات وركبنا عبر المدينة إلى مقر الصدر الأعظم الذى قدمنا إليه بأبهة، ثم قدم لنا القهوة وماء الورد وأمضينا نصف ساعة فى ضيافة الصدر الأعظم ثم أستأذنا فى الانتقال لزيارة ريس أفندى (١١٨). وهو التالى فى الحكومة التركية من حيث المكانة بعد الصدر الأعظم والذى قدمنا إليه وقام بضيافتنا بنفس الطريقة.

وبعد أن قمنا بهذه الزيارة الرسمية، أكملنا المسيرة إلى المستر روزتى (١١٩) وهو تاجر بندقى ثرى على جانب كبير من الاحترام وهو الذى تناولنا معه طعام الغذاء والذى استضافنا بأسلوب رقيق. ولم نعد إلى بيوتنا فى الروضة إلا فى وقت متأخر من الليل.

١٦ أغسطس

الأحد : لم يقع ما يستحق الذكر.

١٧ أغسطس

الأثنين: وصلت صباح اليوم من قنا بالقوارب قوة حملة البنادق الخفيفة(١٢٠) الثامنة بقيادة الكابتن هاوكنز (١٢١) وكتيبة المدفعية الملكية بقيادة الكابتن بيفر، وبتاليون (١٢٢) متطوعى السيبوى بقيادة الكابتن مينشى، ونزلوا للبرفورا وعسكروا مع بقية القوات فى الروضة.

وبوصول هذه القوات، جاءتنا أنباء قصص المعتوه المستر ريدر الصراف العام الذى توفى فى الصحراء بعد مسيرة ليوم من قنا، وكان دائما يقول انه سيلقى حتفه وهو يعبر الصحراء. فالخطر المصاحب لهذه العملية الشاقة، كان دائما قد أخذ عليه لبه إلى درجة مذهلة.

وفى المساء اصطحبنى الجنرال بيرد فى زيارة لعثمان بك الطنبورجى وهو رجل وسيم قوى البنية صلب العود إلى أقصى حد. وهو يعتبر واحدا من القيادات الأكثر قوة بين المماليك منذ وفاة مراد بك رئيس كل البكوات والمماليك فى مصر.

١٨ أغسطس

الثلاثاء : كانت كل القوات عند انبلاج هذا الصباح على أهبة الاستعداد بالسلاح، وكان لنا بمثابة يوم مناورة ميدانية مكشوفة عظيمة.

١٩ أغسطس

الأربعاء: وبعد الظهر اصطحبت الجنرال بيرد فى زيارة عمل إلى الصدر الإعظم وريس أفندى وعدنا إلى البيت مع غروب الشمس. (لم يحدث ما يستحق الذكر).

٢٠ أغسطس

الخميس: قبل الظهر أرسل فى قنجة الليوتنانت كولونيل بواسطة الجنرال بيرد إلى رشيد. ليقوم بالترتيبات اللازمة لعبور الجيش الهندى للصحراء الصغيرة بين هذه المدينة والإسكندرية، نظرا لأننا نتتظر يوميا تسلم أوامر من الجنرال هتشنسون للإلتقاء فورا مع الجيش الإنجليزى الكبير لمساعدته فى إقامة الحصار على ذلك الموقع الهام (الإسكندرية)، وهى الأوامر التى كنا بكل شغف ننتظرها كى نحرز شرف المشاركة فى التوصل إلى نتيجة مشرفة.

وقـد كـتبت - رسـائل إلى أخـى تشارلـز بواسطة الليـوتنانت كـولونيل مونتريزور وكذلك إلى صديقى المحبوب الطيب الكولونيل ابركرمبى.

٢١ أغسطس

الجمعة : قـمت اليوم بشراء حصان مصـرى متميز الرشاقة كـبير قوى ذى لون رمادى مـروض جيـدا عمـره أربع سنوات فقط. وكـان أخيـرا من ممتلكات الميجور هوب للمدفعية الملكية، والذى دفعت له ٨٠ دولارا.

٢٢ أغسطس

السبت - لم يحدث ما يستحق الذكر.

٢٣ أغسطس

الأحد : وصل اليوم من قنا أركان الحـرب للجنرال القائد العام الكولونيل مـرى والميجـور فالكونـر وأركان الحـرب للجنرال القائـد العام مع بقـية قـوات الأهالى والمخزونات والتموينات ونزلوا إلى البر فى الحال، وقد جهزنا تماما للقيام بعمل الإرتباط فى بضعة أيام مع الجيش الكـبير بفاعلية، وكنا نأمل بإخلاص بأن نحظى بهذه المتعة الفائقة.

٢٤ أغسطس

الأثنين : وفورا بعـد إفطار هذا اليوم كان الكولونيل للريجـمنت ٨٦ كريما إذ اصطحبنى لإلقاء نظرة سريعة أخرى على القاهرة العظمى وروائعها. ثم ركبنا عبر كل الميادين وشوارعها الرئيسية والأسواق العامة داخل المدينة، ثم انطلقنا إلى القلعة القديمة - على جبل مـلاصق للمدينة - وهى تسيطر كلية من عل على كل مكان فوق الأرض، ومن القلعة طالعتنا عظمة العراقة لكل المدينة المزدحمة: فنهر النيل يمتد إلى أعلى وأسفل المدينة، وميناء بولاق النهرى متزاحمة سفنه، وجزيرة الروضـة بما فيـها مـعسكر الجـيش الهندى، ومـدينة وتحصـينات الجيـزة، ومنظر

الأهرامات وما حولها من بلاد على مدى البصر، ومجرى العيون الضخم العظيم الذى يتضمن عناصر الطبيعة والفن باندماجية لم أر مثيلها من قبل.

وبعد أن ملأنا عيوننا بما فيه الكفاية من تلك المناظر الجميلة، هبطنا إلى «بئر يوسف» الذى هو تحفة إنسانية فوق العادة من حيث الإعداد والفنية، ثم ذهبنا إلى «القاعة الكبرى» التى التقى فيها يوسف باخوته عندما هبطوا مصر طلبا للقمح، ولاتزال تعرف بقاعة يوسف. وكذلك بئر الماء العميق المدهش المثير المسمى بنفس الاسم يعرضان على الرحالة على اعتبار انهما من الأمور المبهره، وكل من «بئر يوسف» وقاعة يوسف توجدان فى القلعة القديمة. وعدت أنا والكولونيل «لويد» إلى معسكرنا مرة أخرى فى الوقت المناسب لتناول الغذاء مع الجنرال بيرد بعد أن تمتعنا بأكثر الأيام جمالاً.

٢٦ أغسطس

الأربعاء : اصطحبت الجنرال بيرد بعد ظهر هذا اليوم مع بقية هيئة القيادة العامة والكولونيلات وضباط الميدان وقادة الألوية والأفواج للقيام بزيارة رسمية لصاحب السعادة الصدر الأعظم وريس أفندى فى القاهرة. ولنستأذنهم مسبقا برحيل الجيش الهندى من هنا إلى الإسكندرية. وأهدى الصدر الأعظم الجنرال بيرد سيفا على الطراز المملوكى ثمينا، وصندوق «نشوء» مرصع بالماس. وخلع الصدر الأعظم بقفطان على كل الضباط وهيئة القادة وضباط الميدان المرافقين للجنرال بيرد. وقد حصلت على واحدة منها. وعدنا إلى المعسكر فى الساعة السابعة.

٢٧ أغسطس

الثلاثاء : جرى اليوم استعراض كبير لكل الصفوف فورا بعد انبلاج الصباح، ومرت كل القوات فى عرض عسكرى أمام عثمان بك البرديسى الذى أنبهر بهذا المشهد غير المسبق، وتحدث عن المظهر الفخم لقوات السيبوى.

الأوامر - التى كنا ننتظرها بفارغ الصبر - تسلمناها الليلة قبل الماضية بالإنضمام إلى الجيش الكبير فورا أمام الإسكندرية . وفى الساعة الثانية مساء أبحر الجناح الأيمن للجيش الهندى فى قواربه، وشرع فى هبوط النهر مع رياح لطيفه فى الساعة الخامسة وغابوا عن البصر فى الحال.

كان الجنرال نفسه ومعه هيئته العسكرية الرئيسية وكذلك معه الجناح الأيسر للجيش ومدفعيته ومخازنه وتموينانه المقرر لها أن تتبعه بالزحف فى الصباح الباكر قد وجه أوامره إلى الميجور فالكونر وأنا أن نتابع التقدم إلى رشيد وانتظار وصول الجنرال هناك، وتقديم أية معونة إلى الكولونيل بريزفورد (١٢٣) يمكن أن يطلبها.

وبعد أن تناول الميجور فالكونر وأنا الغذاء مع الجنرال بيرد صعدنا إلى ظهر قنجتنا فى الساعة ٩ ليلا، وأبحرنا هابطين النهر فورا، وتبعنا فى قارب آخر خدمنا وأمتعتنا.

٢٨ أغسطس

الجمعة: مررنا عبر أسطول قوارب الكولونيل بيريز فورد عند انبلاج الصبح. وفى الثامنة صباحا التقينا بقنجة متجهة من رشيد إلى القاهرة العظمى، كان على ظهرها رجل فرنسى اخبرنا أن حامية الإسكندرية الفرنسية عرضت الاستسلام بشروط معينة من المتوقع أن تحصل عليها من الجنرال الإنجليزى.

٢٩ أغسطس

السبت: كنا نحرز تقدما جيداً فى رحلتنا هابطين النيل، ولكن عند ظهر اليوم عرز قاربنا فى مياه ضحلة مباشرة على الضفة اليمنى للنهر عطلتنا لمدة ٣ ساعات قبل أن نتخلص منها مرة أخرى.

٣٠ أغسطس

الأحد: أما وقد نهضنا مع طلعة الشمـس تماما هذا الصباح، فقد كنت غاية فى الانشراح والبهجة من البلاد الرائعة المحيطة بنا، وكذلك بالمنظر الجميل الرائع لدلتا مصر، التى كونها فرعا النيل رشـيد ودمياط كجزيرة ممتدة، بطول ١٦٠ ميلا مليئة بالمدن والقرى كثيرة السكان وفيرة الحدائق والبساتين، وكانت كل الأراضى فى ذروة الإنتاجية الزراعية.

وفى الساعة الثامنة صباحا مررنا بأسطول الكولونيل بريزفورد الراسى عند الحمـاد الواقعـة على بعد خـمسة أمـيال من رشـيد التى كانت الآن عـلى مرمى البصر.

وفى العـاشرة رسـينا فى أحد خلجـان مدينة رشـيد، وبعـد تناول الأفطار مـباشرة ذهـبت أنا والميـجور فـالكونـر إلى الشـاطئ انتظارا للقـائد الذى بعـد استفسارنا عنه وجدنا انه الليوتنانت كولونيل مونتريزور لريجيمنت المشاة الحادية والثمـانين. وعندما بلغنا مركز قـيادته، علما انه قـد غادر - منذ أيام قليلة - إلى المعسكر الإنجليزى عند الإسـكندرية ومعه أخيه جون مـنتريزور بالجيش الهندى. ولكن كان من المتوقع عودتهم إلى رشيد خلال ذلك اليوم.

وقد أكد بـريجادير ميجـور للكولونيل مونتريزور الروايات عن اسـتسلام الحامـية الفرنسـية، وقد وضع مـوضع التنفيذ منذ ثلاثة أيام وفـقا لاتفاقـية وقف اطلاق النيران بين الجيشين، ولكن لم يكن من المؤكد بعد أن الشروط التى طرحها الجنرال «مينو» قد يوافق عليها الجنرال هتشنسون (١٢٤).

وقد دعينا لتناول طعام الغـذاء مع البريجادير جنرال للكولونيل منتريزور، وقبلنا فـعلا الدعوة، لعلنا نعـرف الأنباء التى يمكن الحصـول عليها فى غـضون ذلك بعودة الأخوين من الإسكندرية.

وأثناء ذلك خرجنا لرؤية مـدينة رشيد المتـسعة جـدا، وهى مكان ذو تجارة معتبرة من منطلق كونها واقعة بالقرب من المصب الأكبر لنهر النيل، ومباشرة فى مواجهـة وملاصقة وبحـذاء الشريط الخصب للغاية للأراضى التى يطلـق عليها الدلتا، والتى يكثر فـيها الغالبية العظمى من خـيرات الأرض الطبيعية، ومـوقعها متلائم للمتاجرة مع الإسكندرية التى تفصلها عنها من ناحية البر صحراء صغيرة مسافة عبورها أربعين ميلا.

ووصل من الإسكندرية فى الخـامسـة مسـاء الكولونيل منتـريزور وأخيـه واخطرنا بان بنود الاستسلام التى اقترحهـا الجنرال مينو قد قبلت هذا الصباح من جانب الجنرال هتشنسون والادميرال لورد كيث (١٢٥) بعد لأى وبعد مناقشات.

وعلى أى حال، فقد اتفق على أن تحتل قواتنا ضواحى الإسكندرية فى أول سبـتمـبر من هذا الشـهر أو فى الثـانى منه على أكـثر تقديـر، وأن تنقل الحامـية الفرنسية إلى فرنسا القديمة (١٢٦) بعتادها وعددها فور توفر السفن لنقلها.

وتناولت طعام الغذاء مع الكولونيل مونـتريزور بصحبته مجمـوعة كبيرة، ولكننا صعدنا إلى قنجتنا لقضاء الليل.

٣ أغسطس

الأثنين: حضر الجنرال بيرد مع هيئـة أركانه إلى رشيد ونزل على الفور إلى البر ليلتقى مـع القائد، وما أن سمع أنباء الاسـتسلام، وتداعيات قليلة الاحـتمال حاليا بان يستدعى الجيش الهندى إلى الإسكندرية، عـاد إلى قنجته مصحوبا بكل هيئة أركانه. وصعد النهر حتى الحماد وهناك أصدر أوامره بان يكون الجميع على أهبـة الأستـعـداد فى حالة الزحـف نحو الإسكندرية، ولـكن حيث انه قـرر ألا يتحرك من هنا حتى يتسلم أوامر مجددة من الجنرال هتشنسون، أصدر أوامره إلى القوات التى كانت قد نزلت فعلا إلى البر عند «الحماد» أن تصعد مرة أخرى إلى متن أسطول القوارب لإنزالهم عند قـرية جدى (١٢٧) على بعد ثلاثة أمـيال من

مدينة رشيد، وتم ذلك فعلا ونزلوا إلى البر. وحوالى غروب الشمس فى نفس ذلك اليوم عسكروا هناك، تاركين الكولونيل «مرى» لقيادة المعسكر على اعتبار انه الأعلى رتبة.

أما وقد قرر الجنرال المسيرة صباح الغد لملاقاة الجنرال هتشنسون عند الإسكندرية، فتبعا لذلك أعلن عن نيته لكافة هيئة أركانه، قائلا، بأنه يجب علينا أن نكون فى صحبته هناك، إذا ما رغبنا ذلك، وأبدى ملاحظة عما إذا كنت أرغب فى الرحيل لرؤية أخى أم لا، فأبديت كل ترحيب، وأبديت بكل وضوح كى أكون فى قمة السعادة لأن أكون واحدا من معيته.

وعاد إلى رشيد فى الساعة السابعة الجنرال بيرد وحاشيته مرة أخرى، وتناولنا طعام الغذاء مع الكولونيل مونتريزور.

أول سبتمبر:

الثلاثاء : فى الساعة السادسة من صباح هذا اليوم انطلق الجنرال بيرد وفى معيته الكولونيل اوشموتى، والكابتن مول (١٢٨)، والكابتن تاكر والليوتنانت بدجن وأنا من رشيد إلى الإسكندرية، وأرسل سرية من الفرنسان إلى حصن صغير (١٢٩) فى منتصف الطريق.

وفور خروجنا من المدينة، وصعودنا للتلال الرملية الملاصقة لرشيد والمشرفة عليها، طالعنا منظر خلاب شامل للبحر المتوسط، وللقطع الحربية للاسطولين البريطانى والتركى ولسفن النقل الراسية فى خليج أبى قير، والمشاهدة المثيرة للمشاعر لراية الأميرال البريطانى اللورد كيث على السفينة «فودرايانت» (١٣٠) وراية الأميرال التركى على السفينة الجميلة الكبيرة «السلطان سليم» ذات المائة مدفع ترفرفان فى وسط كل أسطول بالضبط.

وبدلا من أن نسلك الطريق القصير المعتاد عبر الصحراء، ركبنا سائرين محاذين على طول شاطئ البحر حتى الموقع العسكرى والمخازن عند الحصن

الصغير [١٣١] عند بحيرة المعدية [١٣٢] المتصلة بخليج أبو قير بواسطة قناة ضيقة ووجدنا الطريق فى محاذاة الشاطئ لطيفا جدا ومنعشا، ومع ذلك فقد كان النهار حارا للغاية.

وفى الساعة الحادية عشرة وصلنا إلى «الحصن الصغير» وهو على بعد ٢٢ ميلا من رشيد بطريق الشاطئ عبر الصحراء، وعنده توقفنا وتناولنا طعام الإفطار.

أما وقد تمكنا - دون توقع - من الحصول على قوارب رائعة للغاية من حيث أنها كانت كفيلة تماما بنقلنا جميعا، قرر الجنرال بيرد على الفور بان نستمر فى الإبحار إلى بحيرة «المعدية» إلى المعسكر البريطانى المقام ملاصقا لرأس البحيرة، خاصة وأنها اختصرت مسافة طولها حوالى ٦ إلى ٧ أميال ، فالمسافة بالبر بين الحصن الصغير ومعسكر الجيش تصل إلى مسافة ١٨ أو ١٩ ميلا على الأقل، أما بالبحر فهى حوالى ١٢ أو ١٣ ميلا على الأكثر. ولذلك أرسلنا خيولنا إلى هناك بطريق البر، وأبحرنا فى الواحدة بعد الظهر ووصلنا قبل الساعة الثالثة بقليل إلى (رأس) البحيرة عند مخازن الجيش. ومن هذا الموقع سرنا حوالى الميل إلى مركز قيادة الجنرال هتشنسون، ووصلنا إلى خيامه فى حوالى الساعة الثالثة وعشرة دقائق فى الوقت الذى كان فيه طعام الغذاء يعد على المائدة.

وقد قدمنا كل على حده إلى الجنرال هتشنسون وإلى الأميرال لورد كيث - الذى نزل إلى الشاطئ هذا الصباح ليوقع الاستسلام [١٣٣] وكان قد وعد بتناول الغذاء مع الجنرال [١٣٤].

وقد أخطرنا - فى نفس الوقت الذى وصلنا فيه إلى خيمة الاستقبال للجنرال هتشنسون - أن تناول طعام الغذاء سيكون فى خيمة الطعام الكبيرة. فقد دعانا لتناول الغذاء معه، وهى دعوة - فى مثل هذا الوقت - لا يمكن أن يرفضها أى واحد مناو ولابد من أن اعترف بأننى كنت فى غاية الرغبة لان اقبل ذلك قدر استطاعتى، مع أننى كنت فى غاية الاشتياق فى أن أرى وأعانق شقيقى الحبيب

الذى هو الآن على مقربة منى. فعلى مسافة ميل تقريبا من مركز القيادة كان يوجد الطابور ٤٢، ومن ثم كنت أشعر بنوع من عدم الإرتياح حتى انتهى تناول الطعام. وعلى أى حال غادرنا مائدة الطعام حوالى الخامسة ومن بعد ذلك سرت مباشرة إلى معسكر الطابور ٤٢، ومن حسن حظى أن وجدت أخى العزيز شارلز فى محل إقامته.

٢ سبتمبر

الأربعاء : بعد أن تناولنا طعام الإفطا، اصطحبت - على الفور - أخى إلى مركز القيادة ليتشرف بان أقدمه إلى الجنرال بيرد، وحسنا ما فعلت، فقد كان الجنرال غاية فى السعادة لرؤيته.

وعند الظهر تحرك الجيش على هيئة طوابير ثلاثة منفصلة، ومع كل طابور قطعتى مدفعية ميدان لكى تستولى (بمقتضى مواد الاستسلام) على كافة مواقع الفرنسيين واستحكاماتهم العسكرية أمام الإسكندرية، واضيئت المشاعل، ورفرفت الأعلام، ودقت الطبول وانطلقت الصفارات، وعلى التوالى عزفت الفرق الموسيقية للريجيمنتات أثناء الزحف على الاستحكامات الفرنسية التى كانت على مسافة ثلاثة أميال من المعسكر الإنجليزى.

كان كل طابور مدفعية تحت قيادة ضابط ميدان، وكانوا جميعا تحت قيادة الجنرال - ميجور مور [١٣٥] لان قيادة ذلك اليوم كانت منوطة به. وقد صاحب كافة الضباط القادة وهيئة قيادة الجيش البريطانى المدفعية فى هذه المناسبة العظيمة والمثيرة للغاية.

وقد اصطحبت الجنرال بيرد الذى كان هو وهيئة أركانه يشكلون جزءا من هذه المسيرة الرائعة، وكان كماة الجيش البريطانى العظيم - وهم يمتطون خيولهم فى أبهة ويرتدون حلو أزيائهم - يبدون أعجابهم بمنظر الجنرال بيرد وقد امتطى صهوة جواده العربى الجميل للغاية وهم يزحفون صوب خطوط العدو بعد

المعـارك الشاقة والمـواجهات المـريرة الطويلة المدى. وها قد حـان لهم أن يخلدوا للراحة والإستجمام بعد تلك المجهودات المرهقة.

لقد كان فى الحقيقة مشهدا للعظمة وللمجد الأكبر وللتأثير العميق فى كل بريطانى. وبهذه المناسبة السعيدة إذ رأيت آخى الحبيب - بعد أن تخطى مثل تلك المخاطر - وهو يتولى قيادة المدفعية الملكـية للجبال الجسورة ـ التى يرأسها ـ وهى تسـتـولى على مـواقع العـدو. ولما بلـغت الطوابيـر الثـلاثة أسـفل المرتفـعـات والاستـحكامات أمـام الإسكندرية عزفت كل الفـرق الموسيـقية ودقـت الطبول وانطلقت الصفـارات بلحن المدفعية المميز وهى تنتقل - عبـر المتاريس فى أروع نظام وترتيب - وتراقب صـمتـا رهيبـا بين القـوات الفرنسـية وهى تتـخلى عن مختلف المواقع والاستحكامات منسحبة إلى داخل مدينة الإسكندرية بينما كانت قوات المدفعية تقوم بالتوغل.

وحوالى الساعة الثانية أصبحت المدفعية مسيطرة سيطرة كاملة على المراكز والاستحكامـات الفرنسية خارج أسوار الإسكندرية، ونصـبت الأعلام الإنجليزية فى الحـال على نفس الأماكن التى كـانت منصوبة فـيهـا الأعلام الفـرنسيـة منذ ساعات قليلة مضت.

استـولت قوات مدفـعية الجـبال - تحت قيـادة أخى - على استـحكامات كليوباترة، وهى الأكـبر والأقوى قاطبـة، وكانت سابقـا فى الجناح الأيسر لمواقع العـدو (١٣٦) والتى كانت بطبيعة الحال قوية جـدا، ولكنها أصبحت وكأنها غير قابلة للسقوط بفعل تلك الاستحكامات المنيعة جدا والمتحكمة.

بعد أن ألقـيت نظرة شاملة على الخطوط الفرنسـية بمعيـة الجنرال بيرد ومع صـديقى الكولونيل ابركـرومـبى (١٣٧)، الذى تكرم باصطـحابـنا ليـرينا إياها، استـأذنت لمغادرتهـما، وقضـيت بقيـة اليوم كله مع أخى العـزيز فى موقـعه عند استحكامات كليوباترة.

الحواشي والهوامش

دراسة وإعداد

راندا عبدالعزيز نوار

١ - القصير:

مدينة ميناء على البحر الأحمر على خط عرض مدينة قنا على النيل وكذلك على خط عرض المدينة الميناء (الوجه) على البحر الأحمر على الشواطئ الغربية للجزيرة العربية. وهى ثانى ميناء فى الأهمية بعد السويس، وقد خلفت ميناء عيذاب، وان أصبحت على نحو من التدهور فى العصر الحديث بسبب قصر السلطات العثمانية صعود السفن الأجنبية المتاجرة مع موانئ البحر الأحمر حتى (جده) فقط. ومع ذلك كان حجم التجارة بين عدن ومخا والحديدية وجده يضع القصير على مكانة هامة اقتصادية بصفة عامة وكمصدر للدخل من الجمارك لصالح المماليك بصفة خاصة.

وقد كانت الغالبية العظمى من سكان القصير من أهل ينبع ولذلك أطلق عليهم «الينابعة» الأمر الذى يثير تساؤلا عن إمكانية المصريين المتواضعة فى مختلف النشاطات الاقتصادية فى مثل هذه الأماكن النائية وفى مثل هذه المجالات فى التجارة الخارجية والداخلية.

وبمجئ الحملة الفرنسية اكتسبت القصير أهمية كبيرة استراتيجية، فقد طردت الحملة الفرنسية الينابعة من القصير أو آثروا الفرار، وإن كنا نقدر دورها فى استقبال عدد من المتطوعين من الجزيرة العربية الذين قدموا إلى مصر للمشاركة فى الجهاد ضد الاستعمار الفرنسى حتى ذابت هذه القوة المحدودة من المتطوعين فى المقاومة المصرية فى الصعيد بقيادة مراد بك وبانسحاب الحامية الفرنسية من القصير ومن مصر استعادت القصير بعض مكانتها ولكنها مكانة ظلت متواضعة وربما تنطلق فى مطلع القرن الحادى والعشرون بفضل المشروعات المقترحة لغزو الصحراء الشرقية كجزء من السياسة العامة الاقتصادية للرئيس محمد حسنى مبارك الداعية إلى المشروعات العملاقة المؤدية إلى الخروج من الوادى المرهق إلى المناطق الصحراوية البكر ذات الإمكانيات إذا استخدمت فيها التكنولوجيا المتقدمة

والعناصر المقدامة على مختلف مستويات المجتمع المصرى، حتى يمكن القول أن مفتاح رخاء مصر فى المستقبل يكمن فى مثل تلك المشروعات العملاقة.

٢ - Romney

٣ - Victor

٤ - شهر يونيو

٥ - General Baird وهو الذى قاد الجيش الذى قدم من الهند الى القصير ثم قنا وأسيوط إلى القاهرة فالإسكندرية الفرنسية من مصر. ثم عادت هذه القوات تحت قيادته إلى الهند بينما بقيت قوات الجيش الكبير فى الإسكندرية حتى انسحبت فى ١٨٠٣.

٦ - Murray

٧ - Beresford

٨ - William

٩ - Wilson

١٠ - Falconer

١١ - Budgen

١٢ - Leopard

١٣ - أى السفينة ليوبارد

١٤ - Cornwallis

١٥ - شركة الهند الشرقية البريطانية The East India Company وهى من أولى الشركات الاستعمارية الأوروبية، تأسست فى ١٦٠٠ بهدف التجارة والسيطر ة على ما يمكن أن تتحكم فيه من الهند وما حولها. وكان لها مجلس إدارة خاص بها، ولها أسطولها التجارى والحربى. وهى التى أقامت لبريطانيا فى الهند وما حولها إمبراطورية شرقية متسعة امتدت من شرف افريقية والجزيرة العربية إلى ما وراء الهند شرقا. واستمرت هذه

الشركـة تعمل فى هذا الميدان حتى منتـصف القرن التاسع عشـر إلى حوالى قرنين ونصف القرن. لم تقدم فيه هذه الشركة للإنجلـيز مستعمرات واسعة، بل قوضت إمبراطوريات استعمارية أخـرى، مثل الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية فى الهند، بل أدت إلى إحداث ثراء كبير لهـم انعكس على تفوقهم خلال تلك الفترة التى كانت فيها يد بريطانيا هى العليا.

١٦ - الكابتن هاردى Hardie

١٧ - Syrridge

١٨ - Grand Army وهو الجـيـش الرئيـسى الذى بـعـثـت به إنجلـتـرا إلى السواحل الشمالية لمصر لطردالحمـلة الفرنسية وهو الذى أحرز الانتصارات الرئيسية على قوات الحملة الفرنسيـة فاستسلم كل من «بليار» و«مينو» إليه. وتم ذلك قـبل وصول الحـملة الإنجليـزية من الهند إلى مـيادين المعـارك فى شمال مـصر بين الإنجليز والعثـمانيين من جهة والحـملة الفرنسيـة من جهة أخرى. ولذلك اشترك جيش الجنرال بيرد فى السيطرة على البلاد الواقعة بين القصير وقنا وبين قنا والقاهرة.

١٩ - القاهرة العظمى Grand Cairo كانت القاهرة فى أواخر القرن ١٨ قد أخذت تستعيد مكانتها كعاصمة للقطر وللمنطقة العربية نظرا لما كانت عليه المدن والعواصم الأخرى من تدهور ومكانة أقل مما كـانت تتمتع به القاهرة. ومن هنا أطلق العـديد ممن جاء الى مصـر مصطلح القـاهرة الكبرى عليـها ولكنها من ناحـية أخرى كـانت متخلفة حـضاريا وإن كانت مـتميزة عـالميا بآثارها.

٢٠ - أطلق «مكارى» مصطـلح «صحراء طيـبة» على ذلك الجزء من الصـحراء الشرقية الذى كـان جيش الجنرال بيرد يعد العدة لعبـور صحرائه إلى (قنا). ولـم نصادف هذا المصطلح من قبل. ويقصد «مكارى» بهذا المصطلح المنطقة الصحـراوية الممتدة من القـصير إلى الأقـصر (طيبة) علـى اعتبار أن اشـهر مدينتين على طرفى هذا الطريق هو «القصير» و«الأقصر»، أما قنا فقد كانت

مدينة صغيرة حينذاك لا تمتلك شهرة تعادل الأقصر ذائعة الصيت بآثارها الفرعونية.

٢١ - Harris

٢٢ - الجنرال بيرد

٢٣ - Moilah

٢٤ - El Gaita أو Legeetta أغلب الظن أن أسمها «الغيط».

٢٥ - Bir Ambeh أو Baramba

٢٦ - الريجمنت Regiment إحدى تشكيلات الجيش وهى وحدة عسكرية كجزء من جيش. وقد آثرنا أن نكتب هذه المصطلحات بشكلها دون ترجمتها نظرا لتعدد النظم العسكرية.

٢٧ - Sepoy يطلق على الجند الهندى العامل فى الجيش الإنجليزى. فمنهم مسلمون ومنهم هندوس. وكانت لهم شهرة فى إحراز توسعات كبيرة لصالح الإنجليز حتى فى الهند نفسها. وظلت لهم مكانة عالية فى «الجيش الهندى» حتى وقعت ثورة هؤلاء السيبوى فى ١٨٥٧.

٢٨ - Richard Quarelle

٢٩ - James phillips Lioyd

٣٠ - الجيش التركى: أى الجيش العثمانى.

٣١ - القاهرة

٣٢ - Cap. Fleming

٣٣ - كانت الهند - ولاتزال - تضم العديد من أصحاب اللغات المختلفة وكان من الممكن أن يتواجد من يعرف اللغة الفارسية ضمن جيش من الهند إلى مصر نظرا لأن الهند البريطانية كانت تتعامل على نطاق واسع مع فارس/ إيران، ومن ناحية أخرى كان للغة الفارسية مكانتها الهامة بين مسلمى الهند الذين كانت لغتهم هى الأوردية وهى لغة ثلثها عربى وثلثها سنسكريتى والثلث الآخر فارسى.

٣٤ - كانت السفن حاملة المدافع ذات نظام خاص نشاهده فى صور تلك السفن الحربية. وابتـداء من أواخر القرن الثامن عـشر ظهرت قوارب مدفـعية كل واحدة تحمل مدفعا أو أكثـر. والغرض منه ليس قتال فى عرض البحر، وإنما توجيـه ضربات مدمرة الى القـوى والقرى والمدن المطلة على نهر مـا. وكان استخدام مدفعية القـوارب لأول مرة فى مصر على هذا النحو خلال الحملة الهندية الإنجليزية بقياة الجنرال بيرد على جنوب مـصر لطرد الحملة الفرنسية من مـصر. ولاشك أن اتفـاق الهند ومـصر من حـيث وجـود انهار كـبيـرة استراتيجية يؤكد لنا أن الإنجليز تمرسوا فى الهند على حرب الأنهار، وعندما أرسلوا حملة إلى مصر أفادوا من خبرتهم هناك فى استخدام قوارب المدفعية فى حرب الأنهـار والسواحل. وقد استـخدمت قوارب المدفعـية على نطاق واسع خـلال الحرب الصـينية الإنجليـزية فى منتـصف القرن التـاسع عشـر. وأطلق عليها دبلوماسية قوارب المدفعية.

٣٥ - Middlemore وكـان قد تولى حكم جـزيرة سانت هيـلانا المستـعمـرة البريطانية التى نفى اليها نابليون بعد هزيمته واستسلامه (١٨١٥-١٨٢٠).

٣٦ - كان الليـوتنانت جنرال رايت اونورابل سيـر صمويل اوشـموتى - Lieut Ggeneral the Rt, Hon. Sir Samuel Auchmut (1756-1822) من أنصار الملكية البريطانية خلال حرب الاستقلال الأمريكية وكان صديقـا حميما لكـاتب المذكرات التى بين زيدينا (مكارى)، وقد عمـل معه فى المستعمرات البريطانية الأمريكية وفى الهند.

٣٧ - جورج لى George Molle كان صديقا لمكارى كاتب هذه المذكرات وعمل معه فى الهند.

٣٨ - Budgen

٣٩ - Tuckeŕ

٤٠ - Falconer

٤١ - Montresor

٤٢ - Browne

٤٣ - Hardie

٤٤ - Rear Admiral Sir Home Popham (١٧٦٢-١٨٢٠) قـــائد السفينة الحربيـة رومنى ذات الخمسين مدفعا، وكان مـسئولا عن نقل القوات من رأس الرجـاء الصـالح والهند عند الحـده Heddah ولعلهـا (الحـديدة) ، وتولى مـسئوليـة نقل القـوات الإنجليـزية من السويس إلـى الهند بعد خـروج الحـملة الفرنسية من مصر، وعمل مع الجنرال بيـرد فى مهمة الإستيلاء على رأس الرجاء الصالح فى ١٨٠٤ (يناير) وشارك فى حملة عسكرية بريطانية فى جنوب أمريكا ١٨٠٧ . وهو ضابط صعب المراس لا يلين بسهولة أمام رؤسائه.

٤٥ - Romney

٤٦ - The Waller

٤٧ - Worren Hastings

٤٨ - Mc Intosh

٤٩ - Sarah

٥٠ - يقصد الانتهاء من هزيمة الحملة الفرنسية ونقلها إلى فرنسا.

٥١ - Duncan

٥٢ - George Hardyman

٥٣ - Serjeant Browne

٥٤ - Auchmoty

٥٥ - The Albert

٥٦ - Beaty

٥٧ - Adminral Blankett

٥٨ - أى استسلام الحامية الفرنسية بقيادة بليار فى القاهرة.

٥٩ - Sheerness

٦٠ - Carden

٦١ - Carruthers

٦٢ - Saure

٦٣ - Las ensible

٦٤ - Lawjee Family

٦٥ - Madras من أهم موانئ شرق الهند البريطانية

٦٦ - Cap. Scott

٦٧ - Rockingham Indiaman

٦٨ - أى نقلت مدفعية مدراس إلى السفينة لويجى فاميلى

٦٩ - Shaw Kai Kusseroo

٧٠ - أى من القصير

٧١ - Morad - Bax

٧٢ - Ramsay

٧٣ - Superb

٧٤ - Bell

٧٥ - The Madras Pioneer Carps

٧٦ - Fitz Patrick

٧٧ - Wilhelmina

٧٨ - lind

٧٩ - John James Barlow

٨٠ - Dundas

٨١ - Bomford

٨٢ - Mc Askill

٨٣ - Sea Nymph

٨٤ - Beaver

٨٥ - Howard El-Phinstone (1773-1840)

٨٦ - أى الهندسة الملكية

٨٧ - Dragoon

٨٨ - Hawkings

٨٩ - Bengal Battalion آثرنا عدم كتابة المقابل فى تشكيلات مصرية أو شرقية عسكرية حتى لا يضطرب الأمر على القارئ على اعتبار أن Batta-lion له خاصيته فى الجيش الإنجليزى ولكل جيش غير إنجليزى.

٩٠ - Michie

٩١ - Rider

٩٢ - White

٩٣ - Hewellin

٩٤ - Kidd

٩٥ - Moila

٩٦ - Michie

٩٧ - Subaltren

٩٨ - Lageetta أو الغيط

٩٩ - Mahony

١٠٠ - أو الغيط

١٠١ - يكتبها هنا Ghinna

١٠٢ - ومرة أخرى وفى نفس الصفحة كتبها Kenna

١٠٣ - طيبة أى الأقصر حاليا وقد أطلق اليونانيون على هذه المدينة اسم المدينة اليونانية طيبة Thebes وعندما جاء العرب إلى مصر فاتحين وشاهدوا الآثار الضخمة فيها والأعمدة بالمئات ذات القصور العديدة الضخمة العريقة، وعندما شاهدوا منطقة معابد (الكرنك) الحالية أطلقوا اسم «الخورنق» عليها وحرفت بعد ذلك فى اللغات الأجنبية إلى الكوارنك ثم إلى الكرنك.

١٠٤ - تنديرة أو دندرة حاليا Tentyra أو Dendera وهى من أشهر مناطق الآثار فى مصر وبها معبد (ايزيس).

١٠٥ - اشهر الهة فى مصر الفرعونية وصاحبة القصة المشهورة مع زوجها وأخى زوجها وزوجته، وكانت من شهرتها أن عبدت فى العديد من البلاد الأوروبية حتى اندثرت عبادتها مع انتشار المسيحية.

١٠٦ - Grand Nautch حفل راقص تحييه راقصات هنديات. وهنا أحيته راقصات من نواحى قنا.

١٠٧ - مع أن الصعيد، وبالذات الصعيد بجوار قنا من البلاد شديدة المحافظة جدا إلا أن أية مدينة لا تخلو من وسائل اللهو والطرب والراقصات. والراقصات هنا من قنا نفسها. وكان رقصهن على الطريقة الشرقية (التركية) التى تعتمد على إثارة الغرائز، وبالمقارنة بما وصلت إلية أوروبا الغربية من تقدم حضارى كبير فى مجالات الغناء والموسيقى والرقص كان هذا النوع من الرقص الشرقى يثير الاشمئزاز لدى الأوروبيين على نحو ما عبر عنه هنا مكارى.

١٠٨ - الاغا مفرد اغوات وهو لقب عسكرى رفيع حينذاك فى الجيش العثمانى

١٠٩ - Rayanna

١١٠ - Rahamoun

١١١ - Goloza

١١٢ - Helebee

١١٣ - Sower أو Zauiyeh

١١٤ - Shaikh - il - itmaum

١١٥ - Lieut. Colonel Lord Blaney (١٧٧٠ - ١٨٣٤) وهو لورد بلينى العاشر الذى كان يعمل ضمن القيادات التى رأسها هتشنسون ومن المقاتلين الذين عملوا فى مختلف أرجاء العالم.

١١٦ - هى فقط ٥٠٠ ميلا

١١٧ - Kanja والقنجة سفينة للنقل مجهزة لنقل المسئولين

١١٨ - ريس أفندى هو وزير الخارجية

١١٩ - Rosetti قنصل البندقيـة وله دور كـبيـر فى العـلاقات المـلوكيـة - الأوروبية، والعثمانية الأوروبية.

١٢٠ - Light Dragoons

١٢١ - Hawkins

١٢٢ - Battalion تجنبنا ترجمة التنظيمات العـسكرية الإنجليزية وآثرنا كتابتها بشكلها الإنجليزى حتى لا تؤدى ترجمتها إلى بلبلة.

١٢٣ - Breseford

١٢٤ -(1757-1832) John Hely - Hutchinson هـو بـارون أول هتشنسون والايرل الثانى لدوومور Dooghmore تلقى تعليمه فى ايتون وكلية تريتى فى دبلن. وكانت وفاة ابر كرومبى بعد نزول القوات الإنجليزية عند أبى قير، هى السبب فى أن يخلفه فى قيادة الجيش ١٠ مارس ١٨٠١, وكان ضعيف البنية قصير النظر وغير محبوب بين ضباطه الكبار الذين كانوا لا يقون فيه، ولكنـه قاد الحملة الإنجليزية بنجاح. وكانت صـداقته مع مؤرخ الحملة روبرت ويلسون Rubert Wilson من أسباب شهرة هتشنسون.

١٢٥ - جورج هيث الفنستون George Keith Elphinstone (فيزكونت كيث(شارك فى حرب الاستقلال الأمريكية وضد أسبانيا وفى البرتغال وفى جنوب أفريقـيا وفى المياه الهندية قـبل أن يكون القائد الثانى ثم القـائد العام فى البحر المتوسط، وكان مسئولا عن نقل الحملة المصرية (الإنجليزية).

١٢٦ - عبر مكارى عن فرنسا بأنها القديمة ربما من باب الاستهزاء على اعتبار أن إنجلترا كانت متقدمة عنها.

١٢٧ - Ghedee

١٢٨ - Molle

١٢٩ - Block House

١٣٠ - Foudrayant

١٣١ - Block House

١٣٢ - Mahdi Mandee بحيرة صغيرة متصلة بقنارة ببحيرة ادكو.

١٣٣ - أى استسلام الفرنسيين.

١٣٤ - يقصد الجنرال بيرد Baird

١٣٥ - Major General Moore

١٣٦ - أى الاستحكامات

١٣٧ - Ebercromby

